
الدكتور محمد مهدي البصير

# الدكتور البصير والدراسات الادبية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

لم تكن قبل دراسات الدكتور البصير دراسة ادبية في العراق .. (١)
كان هناك مجموعة اخبار تروى وتسرد ، ومجموعة اشعار ورسائل تتوالى ... قال فلان وروى فلان ، جاء في تاريخ الطبري وذكر ابن خلكان ... ويعاد الخبر الواحد اكثر من مرة ، ويعاد النص الواحد اكثر من مرة : والقديم على قدمه ... دون تعليق او مناقشة ، ودون ان يصهر المجموع ليصب في قالب واحد فيه شخصية الكاتب وذهنه وذوقه ...

وهنا .. هنا يطلع الدكتور البصير لاول مرة في تاريخ الدراسة الادبية متخذا من الحقيقة رائده فيما يورد ويصدر ، منطلقا من النص اذ ينطلق ، جاعلا من البحث صبرا ، وتأملا اكثر من الصبر ، وجمعا ، وصهرا وتذويبا للقديم والجديد اكثر من الجمع ... وفكرا وذوقا .. وعناية بالعرض دون ان يطغى الذوق على الحقيقة ، ودون ان يجور العرض على الغرض .

الذوق ضرورة ملحة . فكيف تعالج مادة تقوم اول ما تقوم على الذوق كالشعر والخطابة والكتابة ... والقرآن ... دون ان تكون صاحب ذوق . لقد عالج اخرون الادب قبلك — وبعدك — ولكنهم اذ فقدوا عنصر الذوق لم يكونوا من الدراسة في شيء : سمهم جماعين ان شئت وسمهم خباطين ان شئت .. وسمهم مؤرخين في احسن الاحوال .

ومنطلق الدارس الذواقة جوهر الادب ، وجوهر الادب النصوص الانشائية : الشعر اذا كان الموضوع شعرا وشاعرا ، والخطابة اذا كان خطابة وخطيبا ، والرسائل اذا كان ترسلا ومترسلا .

وطبيعي ان ينطلق الدارس من هذه النقطة ، فلو لم يكن الشعر لما كان الشاعر ، ولو لم يكن الشعر جيدا لما كان أهلا للجهد المبذول ...

ويقف الدكتور البصير ازاء النص طويلا ، متأملا ، متبحرا ، متألفا ... مستنبطا منه ما يوحي به. وقاعدته في ذلك : لنسأل النص اولا ثم ننظر في الاخبار والروايات ... واحكام الآخرين قديما وحديثا ، لانه لا قيمة لاي من هذه الاشياء بمعزل عن النص نفسه وعما يقوله النص نفسه .

ان النص يعرب بنفسه عن نفسه بأمور كثيرة وكبيرة ... وينطق بأشياء اخرى مهمة وخطيرة عن صاحبه حينا وعن عصره حينا وعن الاخبار المحيطة به — سلبا وايجابا — حينا آخر .

يقرأ الديوان ، ويستعيد قراءته ... ويتأمل ما بين القراءتين ، ويستعيد على وجه اخص خير ما في الديوان واجدره بالبقاء ، ليعين مكانه من الكل ، وليستوفي التعليق المناسب عليه في اهميته وجدته ، وصلته بما قاله الشاعر وما قاله الآخرون .

وليست القراءة عابرة ... كما انها ليست الاولى ، فلم يأت البصير الى الشعر والخطابة والكتابة ونهج البلاغة والقرآن من درجة الصفر ، وانما جاء وقد قرأ كثيرا وحفظ كثيرا . واننا اذ نسميها قراءة اولى فانما نعني انها القراءة التي يقوم بها قصدا وهو يتوجه الى ان يكتب دراسة عن هذا الشاعر او هذا الخطيب او هذا الكاتب ..

واذ يقرأ النصوص يتوثق من الصورة التي وردت عليها لان اكثر آثارنا لم يحقق تحقيقا علميا ، وما حقق منه لم يسلم من الهفوات ، ولذلك تراه يسعى بما لديه من حصيلة ذهنية نادرة الى تقويم النص اذا رآه متعثرا ورأى ان معناه لا يتسق ومبناه كما فعل مع البحتري ومهيار — على سبيل المثال — ونجح في ذلك نجاحا باهرا.

واذ يعتمد الذوق في كثير من ذلك فلانه لا يعتمد ذوقا بدائيا فطريا وانما يعتمد الذوق الذي صقله عالم ضخم من البيئة الادبية والحفظ والمناقشة ، وتعاون في ذلك الجديد مع القديم والغرب مع الشرق .

واذا كان الدارس صاحب ذوق كان وقوفه لدى

---

١ — نشرت مجلة الاديب ( ابريل ١٩٦٨ ) للكاتب نفسه مقالا بعنوان : مؤلفات البصير .

النص عميقا وكانت دراسته من ضروب النقد الادبي وليست جمودا ، وكانت عنايته بما هو جيد وعال ، اما الرديء فلا خير فيه وقد تكفي اشارة عابرة اليه — والتاريخ في كل ذلك وسيلة لا غاية .

**أجل ... اذا اردنا ان ندرس الشعر فلنبدأ بالشعر ...**

ثم لننظر في التاريخ ، وفي الاخبار والاحكام الصادرة ...

وكما ينقد البصير بالذوق المصقول ... ينقد بالعقل المصقول : انه يمكن ان يجمع من المادة ما يجمعه الآخرون ، ثم يتأمل هذا المجموع الذي لديه ، فيبعد ما تناقض منه وما لا يقبله المنطق التاريخي او المنطق السليم ، ويبعد السخيف وما لا حاجة به اليه ، ولا غنى له فيه ، فالخبر ليس خبرا الا بمقدار صحته ومقدار صلته بموضوع الدراسة ، والقول ليس قولا ما لم يدرس مجددا ، فان وافق الحقيقة فهو ، والا اهمل او رفض او نوقش او فند ، وليس هناك قائل معصوم قديما كان او حديثا ...

يبعد ويناقش ، ويناقش ويبعد ... فاذا بقي لديه اللباب وصفوة الصفوة اعاد التأمل غير آبه بما يستغرق التأمل من وقت ، واطال التأمل ليتصل كل جزء بتمامه واصلا الخبر بالنص وواصلا النص بالخبر . وهكذا ... حتى اذا اجتمع الموضوع كلا في نفسه واطمأن الى ان هذا الذي لديه جدير بالكتابة والنشر وان فيه من الجدة ما يضيف الى المعرفة شيئا ... كتب .. والا فالصمت — لديه — اولى . وهو يتجنب التكرار ولا يرى داعيا الى اعادة ما درسه الآخرون وانتهوا منه ... ويضيق بالثرثرة ضيقه بجمود اهل الحواشي .. ولا يرى موجبا الى تسجيل كل ما علم من شارد الموضوع ووارده .

**يطمئن ، فيملي ما اجتمع في نفسه وكون كلا متحدا** في تسلسل منطقي مستعينا على حياة الشاعر بشعره ، ومستعينا بشعره على حياته ، **فاسحا مجالا لكلمة ناصعة** عن اخلاقه ومعتقده ، خاتما البحث بقول حازم جازم كما كان قد افتتحه ... عارضا المجموع في لغة سليمة تتصف بالاقتصاد والتدبير .

**واذ ينتهي البحث لا ينتهي ... لانه لا يسرع به الى المطبعة كمن يطلب مجدا عاجلا** ، فلا بد من تأمل آخر ، ولم العجلة ؟ وها هو ذا يدرس المادة نفسها للطلبة التي اعدها لهم في دار المعلمين العالية ، سنة وسنتين واكثر مشذبا خلال ذلك ما قد يبدو غير منسجم او غير مقبول .

وقد مرت سنون غير قصيرة وهو يقدم هذه المادة امالي في الدفاتر او فصولا منشورة في مجلة او احاديث في الاذاعة احيانا .

واذا كان البصير قد عاد من فرنسا عام ١٩٣٨ واصدر « بعث الشعر الجاهلي » في العام التالي له ، فلا يعني ذلك انه درس الشعر الجاهلي في عام ، **لانه عرف الشعر الجاهلي قبل ذلك بسنين . ولا سيما يوم كان مدرسا في جامعة آل البيت وكاتبا في مجلتي المرشد والمعرض .. وقد اتضحت له منذ ذلك الحين امور في** صفاته ومزايا اعلامه ، وصح له رأي في مسألة «الانتحال» حتى هم ان يجعله موضوعا لرسالة الدكتوراه لو وجد المستشرق الذي يفهمه — لنتذكر انه منذ عام ١٩٢٩ كانت له مخطوطة كتاب بعنوان « الادب العربي قبل الاسلام ».

ثم كان له منذ ذلك الوقت مفهومه عن « فن الشعر » في الاصلية ووحدة الموضوع والقافية المنوعة ..

وزادته عشر سنوات — بينها الدراسة في فرنسا — تأملا في الموضوع وبيانا بالاهم فيه وثقة بتقرير ما استقر عليه .

واذ صدر « بعث الشعر الجاهلي » في حجم صغير فلأن المؤلف لا يقول كل ما يعرف ، ولان التأليف حقيقة وليس معلومات محتطبة من هنا وهناك .

وسكت البصير ... ولم يسكت ...

سكت لمن ينظر من الخارج ولا يرى له كتابا جديدا .

ولم يسكت لانه لم ينقطع عن البحث على النهج الذي ارتضاه لنفسه غير آبه بما يقال ، وغير مفكر بشهرة عاجلة ... لقد كتب عن الشعر الجاهلي وامامه عصور اخرى ... الاسلامي ، الاموي ، العباسي ... الخ .

وكان وهو يسير على نهجه متأملا متأنيا ... ان سمعناه عن طريق الاذاعة يتحدث عن شعراء عراقيين .. ثم جمعت هذه الاحاديث فصدرت عام ١٩٤٦ بعنوان « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » ... وقد سار فيه على منهجه في البدء بالنص وتأمله ومناقشة الاخبار والاحتفاظ بالقيم منها وبالقيم من النص ...

**ولعل قائلا يقول ان الدكتور البصير لم يكن في** « نهضة العراق الادبية » على الشدة التي ينتظرها من عرف منهجه ، والقول وارد ، الا ان الدكتور البصير كان — وهو يعد العدة — يحس بما يحس به من يسعى لانصاف مظلوم وينوه بمغمور ويخبر عن حقيقة ضائعة ، فكان بمثابة الداعي الى الخير اكثر منه الدارس المتشدد . وقد تم له ذلك ، فقد فتح الباب واسعا فاعترف بالنهضة قوم ، ودخل الباب آخرون افادوا من البصير رأيا ومادة ... علما انه في تناوله الرحيم لم يجانب ما يراه حقا ولم يرتكب الباطل الذي قد يسمح به داعية لنفسه .

ولا يبعد ان يعود البصير — بعد ان ادى الغاية الاولى — الى الادباء انفسهم فيتناولهم في وجه جديد من وجوه الحساب .

وقال قائل : ان الكتاب صغير ، ودافعه في ذلك جهله منهج البصير في الاكتفاء بالاحسن والانفع والادل ،

وعلمه بمناهج اخرى ليست مناهج بما تقوم عليه من كثرة في الجمع كأن المسألة مسألة جمع .

واعقبت « نهضة العراق الادبية » ثلاثة كتب في ثلاثة اعوام متلاحقة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ : عصر القرآن ، الموشح في الاندلس والمشرق ، في الادب العباسي ... فكيف كان ذلك ؟ ولا يبعد من ينظر الى الامر من الخارج ان يرمي مؤلفا من هذا النوع بالسرعة.. ولكنه اذ يفعل ذلك يدل على جهل .. لانه لم يقف على الكتب نفسها ويرى ما فيها من صبر وعمق ، ولانه نظر الى سنوات الطبع ولم ينظر الى عشر سنوات سابقة في البحث والتنقيح والتأليف ... ولم يدر بخلد هذا المعترض ان مؤلفا عربيا في العصر الحديث يظل مقيما على مخطوطاته هذه المدة بانتظار فرصة الطبع المناسبة ، ولما حانت ، كان ما كان .

للدراسة الادبية لدى الدكتور البصير منهج ، وهو منهج صعب ... لا ينفرج الزمن « الطويل » فيه الا عن صفحات محدودة ... ولكن هذه الصفحات تعدل كتبا مجلدة ... وللمنهج من المحاسن الكثير الكثير ... وربما رأى بعضهم فيه جفافا او تجزئة او منطقا صارما ... ولكن هذه - حتى في حالة صحتها - ليست بذات بال الى جوار المحاسن ، ثم انها - لو يدري - جزء من المنهج، فقد ارتضى صاحبها من المنهج ما يرى نفسه الاقدر على النهوض به في مواجهة الحقيقة وانه اخذ الآخرين بالصعوبة التي يأخذ بها نفسه اذ يقول او يفعل معتمدا مزاجا خاصا وتجربة طويلة ...

من صميم مزاج البصير السعي الى الحقيقة وعدم التصديق من دون مناقشة ، واحترام النفس واحترام الآخرين والترفع عن المكسب الرخيص والشهرة الزائفة.

ويلي هذا المزاج وجزء منه ضيقه بدراسات للاخرين، في مقدمتها دراسات لعدد من الاساتذة والمؤلفين المصريين ، يؤلمه ما فيها من ثرثرة ، ومن تسرع ، ومن مجانبة للحقيقة ، ومن اعلان الراي دون التفكير بنتائجه ... ومن ... ومن ... ، وبين هذه الآراء ما يبعث صاحب الضمير الى التفكير الجدي في مناقشته والرد عليه واحلال الحق محله ... من امثال ان الشعر الجاهلي جله او كله منتحل ، وان ابا تمام ليس من طي، وان ابن المقفع مؤسس النثر العربي ، وان الكتابة بدات بعبد الحميد الكاتب ... يضاف الى ذلك ضيقه اذ يرى نسيان من حقه ان يذكر واهمال من حقه ان يرعى ... ومن هنا كانت عنايته بابن المعتز والشريف الرضي ومهيار ... ونهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر .. والعامة الذين في مصاف الخاصة وتاريخ ما اهمله التاريخ - ويبلغ الضيق بما يراه باطلا درجة شديدة حتى ليخاله القارىء متطرفا او مغاليا في هجومه او دفاعه .

ولكن اين كان مزاج البصير واين كان ضيقه بما في الدراسات المعاصرة من باطل قبل الدراسة في فرنسا ؟ كانا موجودين ، وكان يحاول ان يعرب عنهما في مقالة هنا ومقالة هناك ، في جامعة آل البيت مرة وفي مجلة المرشد او المعرض مرة ... ولكن ليس لذلك قيمة لو وقف البصير عنده او انه كان كل ما للبصير ، بل ان البصير نفسه لا يكاد يذكره اليوم بخير او بشر ، ولولا ضرورة ملحة لما أشار الى مخطوطة كتابه « **الادب العربي قبل الاسلام** » او الى مفهومه التجديدي في الفن الشعري ..

ان الدراسة الحقيقية التي اجتمعت لها العناصر التي تجعل منها دراسة حديثة وتجعل صاحبها اول مزاول لها في العراق ... تهيأت له واكتملت موادها لدن دراسته في فرنسا ، اذ قصدها طالب علم فتعلم الفرنسية ودخل كلية الآداب واستمع وناقش وألم بمنهج البحث وتهيأ له ان يدرس على استاذ هو من هو في منهج البحث ... هو المسيو جوردا : استمع اليه وعمل البحث تحت اشرافه ثم اختار واياه « شعر كورني الغنائي » موضوعا لرسالته في الدكتوراه ... كتب الرسالة للمرة الاولى وقدمها لاستاذه فلم يرضها فكان على الطالب ان يعيد تأليفها وفقا لملاحظات الاستاذ المشرف ... وقدمها للمرة الثانية فعلق عليها بما يدعو الطالب الى ان يصحح من منهجه فيها ... واقتضاه ذلك ان يدرس الموضوع مجددا على خطة جديدة حتى اذا انتهى كان الاستاذ المشرف قد وجد ما يريد وكان ان استقام للطالب منهج البحث نظريا وعمليا .

فاذا أضفت الى ذلك ما تقدم من كتب تاريخ الادب الفرنسي وعلى رأسها كتاب لانسون من فنون البحث .. أضفت عاملا آخر في تكوين المنهج ... وعلمت مدى ما سينتفع به عندما يؤلف غدا في موضوعات من الادب العربي ...

وفي هذا بعض معنى ان تسمع الدكتور البصير يقول : لقد خلقتني فرنسا خلقا جديدا . ولولا فرنسا لم يكن « عصر القرآن » ولا « في الادب العباسي » ولا ... ولا ...

فقد عاد البصير مجهزا بمنهج عام للدراسة الادبية، وكان هذا المنهج قائده وهو يدرس الادب العربي . ويعد محاضراته في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية .

وهكذا كان الدكتور البصير رائدا للدراسة الادبية في العراق ... واكثر من رائد ، لانه خدم بدراساته اجيالا، ولان الاهتمام بهذه الدراسات سيزداد يوما بعد يوم ، وانها ستحتل من المستقبل اكثر مما احتلته في الحاضر.

اي استاذي الجليل ...

هي تحية يرفعها اليكم احد تلاميذكم الكثر اصالة عن نفسه ونيابة عن الاوفياء منهم وغير الاوفياء ...

تحية وانتم تتوسطون العام الخامس والسبعين وتصدرون الطبعة الثالثة من كتابكم القيم « **في الادب العباسي** » .

**بغداد - كلية الآداب** **علي جواد الطاهر**



# ربيع موحش

يضحك لي الزهر وابكي له
لهفي لهذا العابر المسرع

لو كان يدري سوء ما ينتهي
اليه ، لم ينبت ولم يمرع

يا زهر ما هذي دموع الضحى
على وريقاتك بل ادمعي

رام مباكاتي ، وأنى له
دموعي الحرى ليبكي معي

يا خادع الباكي بشبه البكا
يا بارد الاجفان يا مدعي

يا كاذب الدمع ألا تستحي ؟
يا فجر لو كنتك لم اطلع

يا فاضحا في ضوئه ذاته
لعمت لكن لست بالالمعي

يا خادع العشاق يا ابن الدجى
أبوك لم يكذب ولم يخدع

صرح بالسهد ولو نمته
صارحني في حلمه المفجع

مثلك يا زهر شبابي زها
في غفلة الغصن عن الزعزع

منور الاحلام يزهو بها
. . . . . . . .

فلم يفق الا واحلامه
منثورة الاشلاء في بلقع

كفى أسى أني في وحشة
من الربيع المؤنس المتع

كأنني لم أخل يوما به
على بساط منه او منبع

كأنني لم أرخ حبل الهوى
فيه ولم اتبع ولم اتبع

تقطعت صلات قلبي به
فما لقلبي فيه من مطمع

لم يبق عندي للمنى زهرة
ترنو مع الازهار للمطلع

أحس أني صرت في غربة
يا نفس من اين اتيت ؟ ارجعي

فارس سعد



محمد عبد الغني حسن

# محمد عبد الغني حسن . وملامح جيل

بقلم محمد احمد العزب

* * *

« محمد عبد الغني حسن » واحد مـن الجيل الواهب في حياتنـا الفكرية والفنية ، ذلك الجيل الذي طالع الحياة في مطالع هذا القرن ، ثم تفتح وعيه الفكري والفني على تمزقات فادحة بلا حدود عانى مـن دوارها العالم العربي وما يزال يعاني من دوارها حتى الان !!! ربما كانت المرحلة الفاجعة التي تفتح فيها وعي اولئك الرجال من جيل « محمد عبد الغني حسن » بضغوطها الباهظة ، واوقارها الهائلة ، هي التـي اهبت فيهم ملكات الخلق وطاقات الابداع وعناصر المقاومة لكل الكساد الروحي والعقلي الذي كان يمكن له ان يشل فيهم كل ارادات العطاء عبر ازمان اليباب !!! وربما كانت حركة التاريخ ـ تصويبا وتصعيدا ـ هي التي تخلق مثل هذه الظاهرة ، فحين يتحيف الجـدب مناطـق الاخضرار في مرحلة من مراحل الزمن تحت ضغوط حتمية « فعل » من الافعال ، ينهض « رد الفعل » ليصحح من مسار الحركـة التاريخية فيزرع الخصب والاخضرار في قلب هذه المرحلة ليتيـح « للجدل » التاريخي ان يخلق مداره ، ويمارس حركة وجوده في قلب الوجود .

« محمد عبد الغني حسن » من هذا المنطلق ، واحد مـن جيل رائع بلا محاولة للتزيد او المجاملة او الاندفاع ، ولقد نحس صوابيـة هذه المقولة النقدية التاريخية جميعا حين نحدق في ابداع هذا الجيل من الرجال على مستوى الكيف والكم من جهـة ، وعلى مستوى الفـن والفكر من جهة اخرى ، وعلى مستوى الطموح والفعل من جهة ثالثة ، ان الكم ـ وهو هائل في ابداعهم ـ لا يتحيف مـن قضية الكيف ، ولـم يستطع الفن ان يعفي في ابداعهم على الفكر ، ولم يستطع الفكـر ان يعفي في ابداعهم على الفن ، وكذلك نستطيع ان نزعم ان طموح هـذا الجيل لم يكن ليحيل امكانية الفعل فيه الى مجـرد احلام ضبابية ، ولم يكن الفعل ليحيل طموح هذا الجيل الى قناعة ضامرة تستلقي في زاوية من زوايا الانجاز الحقيقي وهو كثير كثير .

لا ارسل القول هنا هكذا جزافا وعلى عواهنه ، وانما استطيع ان ارصد في هذا الصدد من مؤلفات محمد عبـد الغني حسن ، عشرات تتشعب في كل اتجاه ، فله في مجال الدراسات الادبية والنقد : الشعر العربي في المهجر ـ ومعرض الادب والتاريخ الاسلامي ـ ومن امثـال العرب ـ والخطب والمواعظ ـ والتراجم والسير ـ والفـلاح في الادب العربي ـ وفـن الترجمة في الادب العربـي ـ ودراسات في الادب والتاريخ ـ وبين السطور .

وله في مجال الشعر : من وراء الافق ـ ومن نبع الحياة ـ ومـن وحي النبوة ـ وماض من العمر ـ وديوانه المخطوط .. سائر علـى الدرب .

وله في مجال الترجمة عن الانجليزية : كتاب المرأة والدولة فـي فجر الاسلام ـ ومون فليت .

وله في مجال السير والتراجم : حياة مي ـ وعبد الله فكري حياته وعصره ـ واحمد فارس الشدياق ـ والمقري صاحب نفـح الطيب ـ ومي اديبة الشرق والعروبة ـ وابن الرومي ـ وتراجم عربية ـ وبطل السند ـ وموسى بن نصير ـ وابو مسلم الخراساني ـ وحسن العطار ـ وابن سعيد المغربـي ـ والشريف الادريسي ـ والشريف الرضـي ـ وجورجي زيدان .

وله في مجال تحقيق التراث : تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ـ وحلبة الفرسان وشعار الشجعان لابـن هذيـل الاندلسي ـ والشيخ محمد عياد الطنطاوي للمستشرق كراتشكوفسكي وترجمة السيدة كلثوم عودة .

وله في مجال التاريخ : صراع العرب خـلال العصور ـ وعلـم التاريخ عند العرب ـ والمعاهدات والمهادنـات في تاريخ العـرب ـ وتيجان تهاوت ـ وغرائب من الرحلات ـ وملامح من المجتمع العربي .

وله في مجال الدراسات الاسلاميـة : الاسلام بـين الانصاف والجحود ـ والقرآن بين الحقيقة والمجاز .

وله في مجال الكتابة للناشئة والاطفال : فاسكودي جاما ـ وولتر رالي ـ والكابتن كوك ـ والكابتن سكوت ـ ومنجو بارك ـ وبيري .

وله في مجموعة « نساء شهيرات » : خديجة بنت خويلد ـ وآمنة بنت وهب ـ وشجرة الدر ـ والزباء .

وله في مجموعة « ايام العرب » : يوم ذي قار ـ ويوم اليرموك ـ ويوم القادسية ـ ويوم الملتان ـ ويوم بابليون ـ ويوم الاندلس .

ربما لا اكون مغاليا اذن حين اقرر الان ان محمد عبد الغني حسن واحد من جيل رائع اعطى في الفن والفكر وما يـزال اعطاؤه موصولا ونرجو ان يتواصل بلا انقطاع ... ان الناقد الذي يتصدى لمثل هـذا النمط المبدع في حياتنا الادبية يوشك ان يصاب بالاحباط اذا هـو حاول ـ من خلال دراسة قافزة سريعة كهذه التي اتصدى لها الان ـ ان يعطي تقييما حقيقيا لكل هذا الانجاز الابداعي والنقدي .. ان دراسة اكاديمية متخصصة هي وحدها التي يمكن ان تستقطب كـل هـذه الابعاد ، وان توصل لمفهوم نقدي ينبع من شرايين المسارات الفكرية والفنية على امتداد هذا الابداع كيفا وكما .. وان تقدر هذا الجهد الباذخ الذي لا يستطيع ان يقدره الا من كابد الابداع والبحث ، وعرف كيف الحرف يكون عذابا لمبدعه حتى حافة الشهادة ...

ان دراسة قافزة سريعة كهذه التي اتصدى لها الان لا تطمح الى اكثر من ان تمارس حركة « انتخاب » فاعلة فربما استطاعت من خلالها ان تؤمن الى ملامح الفن والفنان .. ان الانتخاب الفاعل الذي اعنيه لا ينهض على المغامرة النقدية المسطحة ، وانما ينهض علـى الحدس النقدي الذي ينأى بطبيعة تكوينه عن التسطيح .. ان الحدس النقدي

هنا يغامر ـ غير مسطح لشيء على الاطلاق ـ بتحديد منطلقين يمكن من خلالهما ان نتحدث عن محمد عبد الغني حسن واثقا من قضيته ان هذين المنطلقين يشكلان بالضرورة فكر الرجل مصبات وروافد على السواء ... واعني بهذين المنطلقين : « حواره مع التراجم .. تنظيرا .. وتطبيقا »'.. ان جهود الكاتب في مجال التراجم الادبية من ابكار ما بذل على الصعيد العربي في هذا الصدد ـ تنظيرا وتطبيقا كما اسلفت ـ ان كتابه عن « التراجم والسير » يشكل المنحى التنظيري في هذه القضية ، أي البحث عن عناصر الحلول النظرية في هذا المجال ، وان ابداعاته الهائلة فيما قبل وفيما بعد جميعا تشكل المنحى التطبيقي في هذه القضية ، أي البحث عن صيغة اكثر صميمية ومعاصرة في التراجم الادبية التي تحتل من الفكر العالمي اليوم مكان البروز !! انني ازعم هنا ان المدخل الوحيد القاصد الى عالم محمد عبد الغني حسن هو هذا المدخل : « حواره مع التراجم تنظيرا وتطبيقا » فاذا صادف هذا الحدس النقدي صوابه كان من الممكن ان نقبض على ملامح الحركة الابداعية في « كل » مؤلفات هذا الكاتب الرائع من خلال هذا « البعض » المستقطب بالفعل لملامح الكل الكبير .

ولكن جانبا من جوانب ابداع الرجل يظل في حاجة الى دراسة خاصة بما هو غير قابل اساسا للانضواء تحت راية هذا الحدس النقدي الذي يعكس ملامح الحركة الابداعية في فكره وعطائه .. هذا الجانب بالتحديد هو ابداعه « الفني » من خلال عطائه الشعري ، ان قيمة الانجاز الشعري في ابداع عبد الغني حسن تبقى في النهاية واحدا من هموم الناقد بما لها وما عليها جميعا ، ولكنها بالتأكيد غير قابلة للانضواء هنا تحت راية هذا الحدس النقدي الذي يعكس ملامح الحركة الابداعية في فكر كاتبنا الاصيل .

لتكن الان رحلتنا مع « التراجم والسير » كتاب محمد عبد الغني حسن الطامح منذ البدء الى تاسيس نظرية في هذا الصدد ، ثم مع « تراجم عربية » كتابه الطامح الى خلق صيغة حضارية ومعاصرة تؤسس للتطبيق الراشد على ما ارسى من نظرية في هذا المجال ... ولست استطيع ان ازعم ان الكاتب في محاولته الجادة والماهدة على مستوى التنظير والتطبيق معا قد قال الكلمة الاخيرة ، فان ديمومة الخلق والابداع منطق رافض لفرضية الكمال المطلق في عمل فني او عمل فكري مهما كانت عظمة هذا العمل او عظمة فنانه على السواء . حسب الكاتب هنا انه قد ارتاد مجاهل وافترع بكارات وعبد الطريق لاجيال لاحقة تاتي من ورائه ، ربما لتواصل التنويع على ايقاعه الضخم ، وربما لتضيف الى حركة ابداعه حركة ابداع ، وربما لتاخذ من مساره منطلقا الى مسار اخر ... ولكن كل ذلك لا يطعن في قضية انه منذ البدء قابض على راية الفتح ، مقتحم لاسوار الجليد .

في كتاب « التراجم والسير » نلتقي بالمنهجية في سوائها الرائع ، ففي الفصل الاول يتحدث الكاتب عن « التراجم ونشأتها » مركزا على عناصر الجدل التاريخي في هذا الصدد ، فنواجه حديثه عن « التراجم بين القديم والحديث » « والتراجم بين العلم والفن » « ونشاة التراجم في الادب العربي والداعي اليها » « والتراجم الذاتية » .. واذا كنت قد اشرت الى ان الكاتب ركز في حديثه عن التراجم ونشأتها على عناصر الجدل التاريخي فان هذه الاشارة تعني كل معاني حروفها تماما ، ان الكاتب يحدد منذ البدء ماذا يعني بكلمة « الترجمة » ثم تنفور الدراسة الى منابت الترجمة بمستوياتها الادبية والتاريخية حتى لتؤكد ان « الترجمة للإشخاص قديمة قدم الانسان نفسه » وربما نختلف مع الكاتب هنا بعض الشيء زاعمين ان اطلاق الحكم في هذا المجال على هذا النحو ليس دائما فيما يخيل الي على مستوى التوثيق في حركة فكرية هادفة الى تاصيل منهج علمي غير قابل بطبيعته لحماسة التعبير ... ان الترجمة للاشخاص قديمة .. اجل .. ولكنها لا يمكن ان تكون ( قديمة قدم الانسان نفسه ) لان كل اشكال التعبير ـ حتى الشكل البدائي منها ـ لم يتح للانسان الا بعد مروره من مضايق ازمان بلا حدود واستوائه في نهاية الامر على اعراف مرحلة اتيح له فيها ان يتلمس طريقه الى حركة التعبير او وجدان الذاكرة ...

واحسب ان الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن لا يختلف معنا حول هذه المقولة التاريخية وقد عرفناه اكثر من منصف في كل المجالات . ثم تمضي الدراسة الجادة الرائعة بعد ذلك الى استعراض الوان من التراجم في عصورها الباكرة هنا وهناك ، مصوبة اغلاطها البادهة ، ومرشدة خطواتها المأمولة ، ومؤسسة من خلال ذلك كله منهجا لما يبغي ان تكون عليه التراجم في عصر لاغط بروافد الثقافات .

ان محمد عبد الغني حسن من خلال تحركه الفكري في كتابه عن « التراجم والسير » يقتنص من خلال « الجدل التاريخي » ضالته ، فهو في الفصل الاول ـ كما في كل الفصول ـ يبدأ باحتواء عنصر الزمن متفرسا في ملامح الماضي والحاضر والمستقبل جميعا ، رافضا ان يعتسف الطريق الى شيء ، او ان يقفز على اسوار شيء .. وفي هذا المنهج التاريخي الاستقرائي القائم على عنصر الجدل تكمن القيمة الحقيقية لمثل هذه الدراسة الهادفة الى تأصيل نظرية ، او قل الهادفة الى التمهيد لخلق نظرية شاملة في هذا المجال .

ان الفصل الثاني يستقطب « السير » وهو يستهله ـ تماما كما فعل في الفصل الاول نشدانا لتأصيل منهج علمي ـ بتحديد مفهوم « السيرة » ونشوئها ، وتطورها ، واستحالتها عبر العصور .. وحتى لا ينفرط المجال من يديه يحدد السيرة النبوية والسيرة الشعرية مثالا تطبيقيا على الاصل النظري الذي ارتضاه .. ومرة اخرى يبرز عنصر « الجدل » في مسار الحركة الفكرية للكاتب في غير التواء . فكما يلوح الجدل في مطاوي الحركة التاريخية التي يرصدها ويستوعب ابعادها الشمثاء ، يلوح هذا الجدل في استقطاب عنصري التعبير ـ نثريا وشعريا ـ انه ربما بدافع غير عمدي يتوقل الى جبال التعبير الشعري حين يفرغ من البوح في مجال التعبير النثري ، لان حس « الجدل » كما قلت هو ابرز عناصر الحركة في مساره المفكر ومساره الفنان. ونستطيع بقليل من التأمل الفاهم ان نقف على اصالة هذا الحدس حين نستعرض بقية فصول هذا الكتاب .

فالفصل الثالث يتحدث عن « انواع كتب التراجم » من تراجم عامة جامعة .. الى تراجم حسب العصور .. الى تراجم لسنة سنة.. الى تراجم في كتب التاريخ العام .. الى تراجم في كتب الخطط والاثار .. الى كتب الطبقات في التراجم .. ويقيني ان الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن في كل هذه الحركة التاريخية المستوعبة لم يكن حاطب ليل ، ولم يكن كذلك مجرد مؤرخ راصد لمسار قضية من القضايا هكذا في عرى كامل عن محاولة الاستنباط والقبض على جوهر المقولات .

ان يقظة جارفة بجلال ما يتصدى له توشك ان تؤرق احداقه بالاجفاف ، انه من خلال استقطاب الحركة التاريخية لمسار القضية ـ الموضوع يؤسس قيما نقدية رائعة بلا حدود ، او قل يلم شتات قيم نقدية رائعة بلا حدود ، كان يمكن ان تظل اشلاء ممزقة في بطون الكتب وحواشيها على السواء .

ولناخذ لذلك مثلا حديثه عن « طبقات الشعراء » من هذا الفصل الثالث في كتابه عن « التراجم والسير » لنؤكد على قضية ان هذا الكاتب الى جوار تنظيره الرائع للتراجم في ادبنا العربي تنبه في حساسية فنية شديدة الايقاع الى قيم نقدية هائلة الحجوم والاعماق ، فجمع شتاتها الممزق ، وواصل لها في هدوء !. لقد تحدث عن طبقات ابن سلام وكيف انها كانت « ردا او تصحيحا لوضع المؤرخ محمد بن اسحاق وموقفه من الشعر العربي ، فقد اتهم هذا الراوية المؤرخ الكبير بانه ممن افسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه على علمه بالسير ، وقد قبل الناس منه هذه الاشعار المصفقة ، وكان هو يعتذر من ذلك بقوله : لا علم لي بالشعر ، وقد لامه ابن سلام قائلا : أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن اداه منذ آلاف

السنين ؟ » . ويؤلف ابن سلام طبقاته حتى لا يكون جهل بتاريخ الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، ولقد حفزه الشك الى مزيد من التوثيق والتأصيل .

وينتقل المؤلف الى ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » « الذي يحتوي كتابه على تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله ) .

ومن ابن قتيبة الى الامام ابي عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفي سنة ٣٨٤ هـ الذي ترجم للشعراء بحسب جماعات الاسماء ، فهؤلاء جماعة من المسمين باسم « عمرو » الى جماعة مسمين باسم « عمارة » الى جماعة اخرى مسمين باسم « موسى » وهكذا .. وهكذا ..

وحين ينتقل المؤلف بالحديث عن الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » يلاحظ « ان هذا الكتاب صورة صادقة حية لتطور الشعر العربي في القرن الرابع ، وللابواب الكثيرة التي طرقها ، وللشعراء الذين كانوا في ذلك العصر يملاون الدنيا مدحا وهجاء وغناء ووصفا ومعاتبات تصور لنا روح المرح والدعابة ، ولم يرتب الثعالبي كتابه حسب الاسماء ولكنه رتبه حسب الاقاليم الاسلامية العربية ، فهناك قسم لشعراء آل حمدان والشام ومصر والمغرب .. وهناك قسم لشعراء العراق .. وثالث لشعراء فارس وجرجان واصفهان وطبرستان .. ورابع لشعراء خراسان وما وراء النهر » .

ويتابع الكاتب رحلته فيقف مع كتاب الاغاني .. هذا الذي لم يضعه صاحبه اساسا ليكون كتاب ترجمة للشعراء وانما وضعه ليكون مناطا جامعا للاصوات المغنية بالشعر ، الا ان استطراد مؤلفه جعل منه موسوعة للشعر والادب جميعا .

ثم يقف الاستاذ محمد عبد الغني حسن عند الباخرزي صاحب « دمية القصر » والوراق الخطيري صاحب « زينة الدهر » والعماد الاصبهاني صاحب « خريدة القصر وجريدة اهل العصر » اولئك الذين اتموا كتاب « اليتيمة » للثعالبي ، وبلغوا بتراجم الشعراء فيه الى القرن السادس الهجري ... وفي القرن السابع كتب ملك من ملوك بني ايوب كتابا في « طبقات الشعراء » .

ويرصد الكاتب نشوء النزعة الاقليمية في تراجم الشعراء في مؤلف ابن سعيد المغربي « القدح المعلى في المحلى » الذي ترجم فيه لشعراء الاندلس في النصف الاول من القرن السابع الهجري ... ثم يختتم المؤلف حديثه في هذا الصدد برصد عودة النزعة الاسلامية العامة في مؤلف ابن معصوم الحسيني « سلافة العصر في محاسن اعيان العصر » الذي ترجم فيه لشعراء القرن الحادي عشر الهجري ، في الشام ، ومصر ، واهل الحرمين ، واليمن ، والعراق ، والبحرين ، والعجم ، والمغرب .

لست ـ فيما يخيل الي ـ بحاجة الى تأكيد اننا من خلال هذه السطور قد افدنا ربما استيعابا كاملا لتطور المنحى النقدي في تراجم علمائنا لاجيال الشعراء العرب عبر كل العصور .. فغير عفوي ان يركز الكاتب هنا على طبيعة كل هذه التراجم ، لقد كان بوسعه ان يرصدها ثم لا شيء .. ولكن تركيزه الفاهم على المنظور النقدي الذي يمكن اقتناصه من خلال مسيرة الترجمة ومنحاها الابداعي يعطي بالدرجة الاولى ان حس التأصيل والتقعيد في هذه الدراسة اسبق وآكد من حس التاريخ بلا جدال .. اننا من هنا نستطيع ان نفهم لماذا كانت التراجم المنحنية على رصد ملامح البيئة والعصر مثلا مغايرة للتراجم المنحنية على رصد ملامح الفنائية في شعرنا العربي ..

ان المتجه النقدي من خلال هذه التراجم وتلك مغاير ومختلف بما هو خاضع في النهاية لضروب من الاساسيات الفكرية والبيئية والمرحلية. وهكذ تقدم هذه الدراسة الجادة الواعية للدارس المعاصر ارضية مليئة بالكنوز يستطيع اذا هو حاول الاستفادة منها ان يثري ابداعه بمزيد من العطاء ... وهذا ما قصدته حين قلت ان هذا الكاتب الرائع ـ محمد عبد الغني حسن ـ يستقطب الى جوار حسه بالجدل التاريخي حس احتواء تكامل البناء النقدي . ولعلي لم اجاوز تخوم الواقع في هذا السبيل ..

وياتي الفصل الرابع من كتاب « التراجم والسير » ـ اخر فصول الكتاب ـ تنويعا على لحن القرار اذا شئنا ان نقول .. ففيه نقرأ عن تراجم النساء ـ والتراجم بين الطول والايجاز ـ والتراجم بين الانصاف والتحامل ـ والتحقيق في كتب التراجم ـ والعناية بتواريخ الميلاد والوفاة ـ ومصادر الترجمة ـ وترتيب الاعلام المترجمة ـ وضبط الاعلام . وتحقيق الانساب ـ وتلخيص كتب التراجم وتذييلها ـ والمعاصرة واثرها في كتابة التراجم ... والمؤلف في كل اولئك ماض على طريقة عارف لخطواته .. انفتاح بلا حدود على حركة الجدل التاريخي، واقتناص الملامح البارزة في هذه الحركة مما يمكن ان يشكل ملامح منهج او ملامح نظرية ، واذا اتيح لك ان تختلف معه في مواطن من هذا العمل فانك مع هذا الاختلاف لا تفقد احترامك للرجل ، ولا تفقد حس تقديرك لانجازه الفكري الماتع الموهوب .

الى هنا .. نكون قد اجرينا حوارنا مع الجانب التنظيري في ابداع محمد عبد الغني حسن لننفلت منه الى حوارنا الاخر مع الجانب التطبيقي في حركة هذا الابداع .. واذا كنا قد اخترنا كتابه « تراجم عربية » مرتكزا لهذا الحوار الاخر فليس لانه اروع كتبه في هذا المجال، ولكن لانه بالفعل ـ بما هو قافز وموجز ـ يمكن ان يكون تطبيقا عمليا رائعا ـ في اطار مقال ـ لكل القيم النقدية التي ارساها في عملة التنظيري من خلال كتابه « التراجم والسير » .

ان « تراجم عربية » يترجم لسبعة عشر كاتبا وفيلسوفا واديبا ، تراجم يمكن ان نسميها كما قلت « قافزة » الى حد كبير .. فالمؤلف هنا يستعرض جوانب من حياة الشخصية المترجمة ، وجوانب من الخطوب التي تقلبت فيها ، والاحداث التي تعاورت حياتها الضاجة بالتناقضات ، ثم هو يركز على الجانب الفني والادبي في حيوات اولئك الادباء بما هم اساسا شخوص فنيون متميزون بهذه الهوية الفنية عن اغمار البشر الاخرين الضاربين في فدافد الوجود . مثلا .. حين يتصدى الكاتب للترجمة لواحد من شخوصه وهو « اسماعيل ادهم » يبدأ ترجمته بعتابية رقيقة عاطفة موجهة الى ادبائنا ونقادنا المعاصرين ، اولئك الذين حاصروا حياة صاحبه وفكره جميعا بالتجريح والمهاترة ، صارفين جهودهم الهائلة عن القيمة الحقيقية الكامنة في ابداعه ومناحي فكره مهما اختلف على نوعية ومستوى هذه القيمة ، ثم يلوح اشفاق بلا حدود يبوح به الكاتب حيال قضية اتهام صاحبه المترجم له في علمه وعقيدته ، داعيا فيما يشبه الرجاء الى دراسة موضوعية هادفة لبواعث القلق التي اجتاحت فكر وعقيدة فنانه الراحل . ان هذه الدراسة اجدى من كل المهاترات ... وتمضي ترجمة الكاتب لصاحبه المفترى عليه في طريقها القاصد لتناقش المصطلح اللغوي للمترجم له ، واصراره في مطالع حياته على اصطحاب المفردة الاجنبية بديلا عن المفردة العربية، ثم عدوله اخر الامر عن ذلك تماما .. معللا ذلك كله بامكانية امتلاك صاحبه بعد رحلة المعاناة كتابة وقراءة لقدرة التعبير من خلال المصطلح العربي الرائق الشفاف ..

ثم تخلص الترجمة الى دراسة فنية واعية فتلاحظ ان « اسماعيل ادهم » يمتاز في نتاجه كله بشخصية الاسلوب ـ وتكرار بعض التراكيب التي يبدو انها فتنته ـ وايراد حشود من الالفاظ والمصطلحات العلمية في سياقاته الادبية ـ والتحقيق العلمي في كل ما كتب ـ واتباعه مناهج علماء الاستشراق في التناول والبحث ـ واهتمامه الواصب بالمصادر والمراجع وذكرها في الهوامش ـ وانتفاعه الشجاع بما كان ينشر في الدوريات المعاصرة له دون عقد تشل فيه ارادة الانتفاع ... وهكذا تتكامل الترجمة لواحد من شباب هذا الجيل غير هاربة من قدر المواجهة على اي من مستوياتها الهائلة ، وان كان اهتمام الكاتب هنا

## يا تونس الخضراء

يا تونس الخضراء يا غاليه ... يا ملتقى شوقي واحلاميه
يا قبس المجد واشعاعه ... ودرة للبحر والباديه
جددت لي احلى زمان الصبا ... بروحك الفنانة الشاديه
تراقص الزهر بطيب الشذا ... وغرد البلبل والساقيه
ما زلت في المغرب مجلوة ... في شاطىء ( الابيض ) كالغانيه
لبست ثوبا بنثار العلا ... مطرز الفتنة والحاشيه
أتيت من بغداد في لهفة ... وكنت أما برة راعيه
وجدت فيك الشعر في رقة ... اخاذة الاوزان والقافيه
وروعة ( المألوف ) رفافة ... منسابة في نغمة حانيه
وطوف المجد بقرطاجنة ... والقيروان البلدة الغاليه
مر بها طارق مستنصرا ... وعقبة ابن الحرة الساميه
فان نات بغداد عني فما ... أنت سوى بغدادي الثانيه

تونس — يوسف عز الدين



بالجانب الفني بمعزل عن حياة صاحبه قد تحيف من موضوعية الترجمة الى حد ، بما ضيئل ، لان وعي الكاتب كان دائما يعود به الى اسقاطات رائعة من جانب الفن على جانب الذات ، وهو صميم عمل الترجمة الذكية اللمسات .

ونلتقي في الكتاب « تراجم عربية » بدراسة اخرى عن « شوقي وحافظ بين الكتب » . واذا كنت قد قلت « بدراسة » ولم اقل « بترجمة » فانني فيما اعتقد اعني تماما ما اقول ، وعلى الرغم من ان هذه الدراسة هي من اطول فصول الكتاب واروعها جميعا ، فان حس الترجمة فيها ضئيل صئيل ، لانها توشك ان تكون « ترجمة للتراجم » التي صدرت عن شوقي وحافظ ـ وهو ما يوحي بها عنوانها ـ من جهة ، واستدراكا واعيا على هذه التراجم بايراد ما قصرت عنه من جهة اخرى ، وهذا في حد ذاته يعد كسبا رائعا تعتز به التراجم وان لم يكن جاريا على سننها وطريق سيرها المألوف .

يلاحظ الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن في دراسته اهمال مترجمي شوقي لرواياته النثرية الثلاث « عذراء الهند » الصادرة في ١٨٩٧ ـ « ولادياس » التي نشرتها مجلة الموسوعات مستقلة في ١٨٩٩ ـ « وورقة الآس » التي طبعت في مطبعة الشعب واصدرتها دار «مسامرات الشعب » لخليل صادق وليس عليها تاريخ طبعها ... والكاتب هنا لا يكتفي برصد هذا الاستدراك الصميي ثم لا شيء ، ولكنه يقف عند كل من هذه الروايات الثلاث وقفة دارس وناقد معا ، مثلا عندما يتصدى للحديث عن رواية « لادياس » يبدأ بتلخيص مقنع لاحداث الرواية ، ثم ينهض بعملية اسقاط كل الاقنعة عن وجوه هذا العمل الفني ووجوه شخوصه الحقيقيين. ثم لا يغفل مناقشة شوقي «تاريخيا» على هون تماما ، مدركا حرمة عجز الآخر الراحل عن مداومة الحوار ، ثم تأخذ المناقشة وجهها الحقيقي حين يركز الكاتب على الملامح الفنية في أسلوب الرواية مركزا على التعريض بقيمة الشعر القليل الذي يتخلل السياق في هذا العمل ...

ونستطيع نحن هنا ان نجري مع المناقشة مناقشة اخرى منصفة فيما يخيل الي ، فلقد ركز الاستاذ محمد عبد الغني حسن على الملامح القشرية للعمل من ثورة على السجع الى تعريض بالشعر الى رصد ملامح الاسلوب ، ولكنه اغفل تماما جانب القضية الصميمي في هذا الصدد ، قضية « البناء الفني » في الرواية ، وهي فجوة ما تزال فاغرة بلا قرار .

وحتى لا تتراحب المساحات هنا ، فنحن نستطيع ان نقول ان ما كتب عن حافظ لا يعدو ان يكون صورة موجزة ـ حتى موجزة ـ مما كتب عن شوقي ، وان كنا نلاحظ ان قيمة نقدية هائلة بالفعل يجب ان نسقطها على شعر حافظ ربما توحي بها دراسة الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن وان كانت لم تقلها هكذا على وجه التاكيد .. هذه القيمة النقدية الهائلة فيما ازعم هي ان شعر حافظ ابراهيم لا يرقى الى مستوى الروعة والابداع بالفعل الا حين يخوض في شبج « الهجاء الاجتماعي » ولو ان الكاتب ركز على هذه الزاوية لكان قد اعطانا بالفعل اكثر من الكثير الذي اعطانا عبر سطوره الحاشدة الكنوز ، ولكن عذره هنا .. هو انه يتحدث عن حافظ ـ ربما ـ من خلال حلوله « بين الكتب » وهذا المنحى الذي تشوفت ان يركز عليه مما قد اخطأته هذه الكتب جميعا او اخطأت قيمة التركيز عليه .

ـ وبعد .. فان محمد عبد الغني حسن بعالميه : الفني .. والفكري .. يشكل ظاهرة هي من ملامح جيله والحق يقال ، ولكنه ـ تفردا ـ اعطى هذه الظاهرة الى جانب الكم كيفها الماتع ، وفوق مستوى الرصد مستوياتها الخالقة ، ووراء مطارح الامل في الفعل امكانياتها اللامحدودة على الفعل ، وعلى الفعل الحقيقي العظيم ... واذا كنت قد ( حاولت ) ان اختلف معه في شيء .. فليغفر لي .. ان القلم الذي انتضيه دائم الجموح .

القاهرة — محمد احمد العزب

# سامي الكيالي

القيت في حفل تأبين الفقيد الكبير الذي اقيم في دار الكتب الوطنية بحلب

**عبد الرحيم الحصني**

●

سقيت ألحاني الدمع الذي انسكبا … وجئت اقصد ـ لما أينعت ـ حلبا
لعل باقة الهام تقدمها … روح المحب توفي بعض ما وجبا
يا هل درى الاخوة الغادون أي فتى … من بعدهم ساهر الافلاك والشهبا
تعود الجود من دهر أضر به … وما اشتكى عنتا منه ولا وصبا
يكاد من فرط ما هم الزمان به … لا يعرف العمر الا عاتيا وثبا

مالي أنا أبدا ما رمت مغنمة … الا وحظي عما أشتهيه كبا
كأن سيرة أيامي التي سلفت … وقف على من روى المأساة او كتبا
تود روحي حبا لو يكون لها … كفيرها . متعا او ذكريات صبا
خصائص بذوي الاقلام خالدة … لا يألف السعد قلبا صاحب الادبا
هم يحملون هموم الناس واجمة … ولا يملون مما همهم جلبا
كأنهم خلقوا كيلا يروا أحدا … سواهم يحمل الآلام والتعبا

عفو الجلاد اذا أسهبت عن شجني … فلست أملك في اخماده سببا
لي دون غيري قلب لا يهون ولو … رغبته بجميل الصبر ما رغبا
حسبي من الهم أني كلما اندملت … مني الجراح . أعاد الحزن ما ذهبا
مد وجزر . فيا لله كيف مضت … هذي الحياة . ولما أبلغ الاربا
أين الرفاق وأين الصحب واشجني … لم يبق لي الموت الا الحزن والصبا
ما ان خبا في ( حماة ) ( البدر ) مرتحلا … الا وفي (حمص) نبراس (النظير) (١) خبا
واليوم جئت بباقي الدمع اسكبه … لمجد من كان للركب الابي أبا

( سامي ) الى من تركت الحرف مكتئبا … والنثر مضطربا . والشعر منتحبا
أوحدتني يا أبا المختار في وطن … ولدت فيه ، وفيه عشت مغتربا
كنت العزاء لمن ناداك معتصما … والاريحي لمن وافاك محتسبا
حملت من خلق الانسان أغزرها … حمدا وأوفرها مجدا ومنتسبا
اذا أتاك جزيل الهم كنت له … في زحمة الهم والجلى أبا حدبا
يظل مكتئبا حتى اذا لمست … يمناه يمناك حاد الهم واجتنبا

أبا البراعة كم قطرتها حكما … ونبع الهامك المعطاء ما نضبا
كأن لمسك مرصود على قلم … لا يهبط الوحي الا كلما اصطحبا
للحمد ما كتبا ، والمجد ما طلبا … والوجد ما سكبا ، والخلد ما وهبا
يعطي ويعطي سلافا صافيا وندى … مؤرجا وبيانا مترفا عجبا
يا للعباقرة الافذاذ كيف مضوا … وكيف نيسانهم عن ارضهم غربا
عار على الموت ان يرموا ومن دمهم … أنارت الامم الازمان والحقبا

( سامي ) وماذا وراء الموت ما شهدت … عيناك من عالم الخلد الذي احتجبا

عودتنا جلوة الافصاح حين نرى ... مادق عن فهمنا يوما وما صعبا
حدث عن الحور والولدان واحك لنا ... في أي قصر منيف يسكن الأدبا
قل لي أما رحبت في الخلد حين رأت ... شيخ المعرة وابن القارح النجبا

شهباء عمدت شعري بالجراح وما ... أزال بين يديك القاصر التعبا
بالامس زرتك مزهوا على دعة ... واليوم جئت أصب الدمع مختضبا
مالت بشاشة ( سامي ) عنك وانكفات ... مواسم الحرف والعهد الذي خلبا
سلي البيان هل اهتزت جوانحه ... يوما لافجع من يوم الرحيل نبا

يا سامي الرأي والعرفان ما عرفت ... دنيا البلاغة أوفي من حماك ابا
أما ترى القوم اذ غامت بصائرهم ... وأنكروا اللغة العصماء والكتبا
وحاربوا قيما ما زال وارفها ... في دوحة الخلد روضا زاهيا خصبا
يا ضيعة العرب ضاعت كل غالية ... على يديهم سرابا خادعا وهبا
أيعلم الصبية الاغرار أنهم ... ما حاربوا الضاد الا حاربوا العربا
ليس الاسير الذي ينساق مرتضيا ... مثل الاسير الذي يقتاد مقتصبا

شهباء . ماذا اقول اليوم عن حزني ، ... وألف متقد في اضلعي اصطخبا
جف المداد وناء الخطب واتادت ... خطى القصيد وكنت الصادح الطربا
لله نفس لغير الود ما اتسعت ... وقلب صب لغير الحب ما رحبا
ماذا يريد الاسى من مهجة حملت ... من المتاعب ما ادمى وما عطبا

رويد لومك يا شهباء واغتفري ... ذنبي اذا لم أكن وافيت مقتضبا
انا الذي ارقص الدنيا واسكرها ... شعرا ، ولكن جيش الحزن قد غلبا
أنى تلفت لا ألقى سوى محن ... صحب تغيب ، وارض اصبحت سلبا
والعرب من هجمة الاعصار ما اتعظوا ... ولم يزل جمعهم في دارهم عصبا
كأن ( دايان ) لم يهتك محارمها ... ولم يمزق على اقداسها الحجبا

شهباء دنست الاوغاد تربتنا ... ونحن لما نزل نستنفر الخطبا
رصاصنا الشعر . والاقوال عدتنا ... وكيف نسلم ان لم نحمل القضبا
قلنا كثيرا ولم نفعل ولو صدقت ... اقوالنا لصفعنا الغدر والنوبا

شهباء هذي شجون كنت احبسها ... طي الضلوع ولكن الفؤاد ابى
يد المقادير يا شهباء ما تركت ... للنفس حلما ، ولا للعقل مرتقبا
شهباء حسبي من الاقوال اوجزها ... ورب لمح خفي انجز الطلبا
ما جئت بالشعر محزونا لاسكبه ... الا على اخوتي عطرا وبوح صبا

سامي لمجدك ما قطرت من كبدي ... وأنت أعلم بالقلب الذي انتحبا
أيذهب الموت ما خلفت من قيم ... وفوق كل بيان هديك انتصبا
وهبت للخلد خلدا لا يحول ولو ... جئت به عاصفات الدهر ما عزبا
فانعم بنوم على الآباد مزدهر ... وطمئن الطرف والآماق والهدبا
ما مات من آثر الذكر الجميل وما ... أراد غير بقاء الحمد مكتسبا

---

١ ـ اشارة الى المرحومين الشاعر بدر الدين الحامد والاديب نظير زيتون .

حمص ... عبد الرحيم الحصني

كلما استبد بي الضجر في المدينة اهرع الى صديق لي يقيم في الجبل، واجد في السويعات التي اقضيها في ضيافته متعة وراحة .. ومن هواياته المحببة الى نفسه جمع الآثار المتصلة بالانسان الفطري ، فهو يعتقد ان المنطقة التي يقيم فيها كانت موطنا لذلك الانسان، ويستند في اعتقاده هذا الى ان علماء الآثار قد اكتشفوا في مغارة قريبة من بلدته هيكل صبي في الثامنة من عمره ، عاش منذ ثلاثين الف سنة قبل الميلاد .

وقد حول الصديق زاوية من بيته الى متحف اثري ، وقسمها الى قسمين ، احدهما لانسان العصر الحجري ، والثاني لانسان ما قبل التاريخ .. وعرض فيهما كل ما عثر عليه في الجبال والوديان والمغائر المجاورة من ادوات صوانية ، منها شفرات ذات حدين ، وادوات للكشط ، وحجارة مدببة الرؤوس، واخرى جارحة ، وفؤوس من مختلف الاشكال والاحجام ، واسماك ، وقواقع ، وسلاحف ، وبزاق بري وبحري ، كلها متحجرة .. وحين سألته كيف وصلت الاسماك المتحجرة الى المرتفعات الجبلية ، تردد في الجواب قليلا ثم قال : من يدري ربما كان البحر يغمر هذه المنطقة في الازمان الغابرة، او لعل الدوامات الاعصارية كانت ترفع مياه البحر اليها في شكل عمودي لولبي ، وتحط بها فوق الهضاب والجبال ، بما تحمله من اسماك وبزاق وقواقع .

وقال مفسرا كيفية استعمال الفؤوس الصوانية ان الانسان الفطري كان يثبتها الى عظم ساعد حيوان ضخم او الى ساقه ، ويشدها بالياف النباتات التي تنمو في الوديان ، وعرض علي فأسا من النوع الذي كان يستعمله سكان الكهوف ، وطلب مني ان اضرب به حجرا ، ففعلت ، وشطرته الى شطرين بضربة واحدة .

وصديقي الجبلي ، اضافة الى انه من المعجبين بالانسان الفطري ، ومن المقدرين لذكائه الخارق ، فهو في الوقت ذاته صياد وشاعر ، وفي ذلك تباين جلي ، اذ كيف يتغزل المرء بالعصفور ويتخذه مادة لارق اشعاره ، ثم يجيز لنفسه قتله وشويه واكله ؟..

وتزين البيت المضيف مجموعات من رؤوس الوعول ، والذئاب ، والثعالب، وبعض الطيور الجارحة، والعصافير المحنطة ، فكلها تدل على ان اهل هذا البيت يمارسون الصيد ابا عن جد .

وكنت ذات يوم في ضيافة صديقي الجبلي ، فدعاني لمرافقته في رحلة صيد ، وحملني بندقية وقال : سنرى مقدرتك في الرماية ، فنطلق






بقلم نجاتي صدقي

النار معا على طير يحلق في الجو ، فاما ان تصيبه انت واما ان اصيبه انا ..

قلت : وكيف يتبين لنا ذلك ؟..

قال : من الجهة التي يصاب بها الطير بالنسبة للجهة التي اطلق كل منا النار عليه ..

وانطلقنا الى التلال ، وطفنا في سفوح الجبال والوديان ، وبعد ساعتين من الكر والفر طلبنا الراحة عند غدير من المياه العذبة ، تظللنا اشجار الصنوبر الكثيفة ، فعن لي في هذا الجو الاخاذ ان استدرج صديقي الى حديث استجلي فيه




ما اجهله من هواية الصيد ومتاعبها ونوادرها ، مبديا الحذر الشديد مما يصدر عنه من كلام ينطوي على المبالغة والتهويل ، وهما صفتان ملازمتان للصيادين .

قال : نحن يا عزيزي اسرة نتوارث فيها هواية الصيد جيلا بعد جيل ، وقد اقتفيت اثر والدي في هذه الهواية منذ كنت حدثا يافعا ، وكان يردعني عنها خشية ان اصاب باذى ، او ان تؤثر في سير واجباتي المدرسية .. اما والدتي فكانت تغض الطرف عن خروجي الى الصيد ، حين يكون والدي غائبا عن المدينة ، بل كان يحلو لها ان تراني متشبها بالرجال من الصيادين ، وفي لباس الصيد وعدته ، كان اضع على رأسي قبعة ذات حافة هلالية، وارتدي سترة جلدية طويلة في جوانبها شراريب ، وسروالا ضيقا ، واحتذي حذاء يبلغ الركبة ، واطوق وسطي بحزام اكتظت فيه القذائف ، تتدلى من جانبه الايسر خطافات لتعليق الطيور ، واعلق على كتفي كيسا فيه الزاد والذخيرة ، واتمنطق بـ ( جفت ) صيد اطول من قامتي بعشرة سنتيمترات.. منظر مدهش يبعث الرهبة في القلوب .

وحدث ان كنت اتسلق صخرة عالية فتوكات على الجفت ، واذ بقذيفة تنطلق على قيد شعرة من رأسي ، فاقتنعت ان والدي على حق ، وان الوقت لم يحن بعد لممارستي هذه الرياضة المحفوفة بالمخاطر ، فاهملت الصيد بعد ذلك الحادث طوال سني دراستي ، ثم عاد حنيني اليه بعد وفاة والدي ، فكنت احمل بندقية عزيزة علي ، لانها من صنع والدي ، وقد قلت فيها :

ما اجملها ، ما اكملها ، وما تبلى يد عاملها ..

باورودتي اللي بغمرها وبروح ،
كل يوم عالصيد غدوبي ..
ما اجملها .. هو شاغلها ،
وقديش قبلي حاملها ..
ولما بحملها .. قلبي اللي كله

جروح ..
بيرفرف وبيطير غنيي ..
شو بدي اولها .. شو بسألها..
وبدموع عيني ببلها ..
هيدي اعز واتمن من الروح ..
من حيثها تذكار بيي ..

وهكذا عاد الي الشوق للصيد ، الذي استحوذ على مشاعري منذ صغري ، فانغمست به ، واصبح هو والشعر وتقفي اثار الانسان الفطري متعتي الكبرى في هذه الدنيا .

واخرج صديقي علبة الدخان من جيبه ، ولف سيجارة منها ، ثم مسح حافة ورقة السيجارة بلسانه واحكم اغلاقها وقال : للصيد يا عزيزي لذة تفوق كل وصف .. انظر الى تلك الاكمة النائية الغائمة في الابعاد ، فما هو الوقت الذي تحتاجه للوصول الى قمتها سيرا على قدميك ؟..

قلت : ثلاث ساعات على وجه التقريب ..

قال : افترض ان شخصا له مكانة في قلبك يقيم على تلك الاكمة وذهبت اليه زائرا ، وسيرا على قدميك ، فهل تقدم على زيارته مرة ثانية بعد اسبوع ؟..

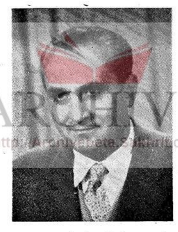
قلت : كلا ..

قال : اما انا فاهبط الى الوادي في اثر الطرائد ، ثم اتعقبها الى تلك الاكمة غير مرة في اليوم الواحد .. فتصور مدى تعلقي بالصيد، ومقدار المتعة التي اجدها في تعقب الطرائد طوال اشهر السنة .

والصيد هنا لا ينقطع ، وفي كل موسم نوع من الطير .. فالفر يظهر في شهر شباط ويظل حتى اواخر تشرين الاول .. ودجاج الحقل واليمام البري في نيسان وايار .. وطير الحجل في هذا الموسم ايضا ، ويشاطرنا في صيده الواوي المعروف بابي زهرة .

ولمحت في تلك اللحظة عصفورا في الجو فامسكت البندقية لاصطاده بها فمنعني الصديق قائلا : ليس كل الطيور مباح صيدها واكلها .. فالممنوع منها : الدخنة ، والصفراوية ، وابو الحن ، والبلبل، والبسبوسة ، والنعار، والشرشور، والخطاف، وام صفيدة، والزريقة ، والحسيني، والسنونو، والدعويقة، والحسون ، والضاروب ، والشحرور ، واللقلاق ، والباز ، وجميع انواع البوم .

، وافيدك يا صديقي وانت الصياد المبتدىء ، ان ليست كل المناطق مباحة للصيد ، فالقانون يمنع الصيد داخل المدن والقرى ، او بجوار المخافر ، وعلى مقربة من اسلاك البرق والهاتف ، او على قارعة الطريق ، ويطلب منا الا نحدث اضرارا بالكروم والبساتين



نجاتي صدقي



والجنائن والمزروعات مهما كانت انواعها .

ومن المفروض في الصياد ان ينتبه الى المكان الذي يقف فيه زميله ، او الى المارة وراء الاشجار، او الى المزارع المختفي وراء زرعه.

وعليك ان تعرف شيئا عن كلب الصيد زيادة في معلوماتك ، انه يقوم بمهام خطيرة ، فهو يكون عادة شديد الانتباه ، قوي الحساسية ، فاذا طارد ارنبا او طيرا فيدفعه الى حيث يقف صاحبه ، واذا احس بوجود طير خلف الدغل وشم رائحته، وتر ذنبه في خط افقي .. واذا راى افعى وتر ذنبه في خط عمودي !..

وبعد ان استنفدنا الحديث عن الصيد انتقلنا الى الملح والنوادر التي لها علاقة بهذه الهواية ، فقلت للصديق : اذا اطلق صياد قذيفة على طير ولم يسقطه فماذا يقول ؟.

قال : يقول « نتفت ريشه » ..

قلت : واذا اصابه ولم يعثر عليه فماذا يقول ؟..

قال : اذا خيل له انه اصابه ولم يعثر عليه يقول ان كلبه يعاني الزكام ..

قلت : وماذا تذكر من مبالغات الصيادين ؟..

قال : اطلق صياد ذات مرة قذيفة على خمسة حساسين فاصاب اربعة منها دفعة واحدة ، وحين ارتفع الحسون الخامس في الجو عالجه بقذيفة ثانية فسقط فوق رفاقه ..

قلت : وهل من نادرة حصلت لك بالذات ؟..

فعاد الى الذاكرة قليلا ثم قال مبتسما : تعود هذه النادرة الى ايام الطيش والغرور ، فقد رجعت من الصيد ذات يوم معلقا في الخطاف رزمة من العصافير ، ولم اشأ تسليمها الى امي ، وآثرت تسليمها الى جدتي المسنة ، فتلمستها بيديها وقربتها من أنفها وعينيها وقالت : « ك تقبرني يا ستي .. من عوايدك تجيب الصيد بدمه وريشه ، وكيف شكل جايبه هالمرة هيك .. مش ناقصه غير ملح وبهار ؟.. » .

وعندنا من رحلتنا بصيد حقيقي .. وقت ان كانت الشمس تودع النهار بلونيها الاصفر والبرتقالي ، وترسل اشعاعات متقطعة من بين فرجات الجبال والوديان ، وتغرق شيئا فشيئا في لجج من الضباب الكثيف .

نجاتي صدقي



محمد سليم رشدان

# في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

## لننشيء جيلا يقرأ

كثر الحديث عندنا في الاردن حول المطالعة ، وتشعب هذا الحديث ، وتناوله المتحدثون في اكثر من مجال ، وكان ذلك كله في ظل الحديث عن الكتاب والكاتب .

وخلال ما سمعته وقراته بين نقد ومقترحات وحلول ، وبين عرض للكثير من وجهات النظر ، لم اجد من يلتفت بتركيز واهتمام الى الجانب المهم في هذه القضية ، الذي يعتبر بداية المنطلق الى النهاية التي ننشدها ، ونحن نستهدف تحقيق الغاية المثلى من المطالعة . كما يعتبر حجر الاساس في بناء جيل المستقبل الذي نعده ليسهم بقسط وافر في شتى مجالات المعرفة والاطلاع . واقصد بذلك اطفالنا الاعزاء ، الذين وصفهم شاعرنا القديم بقوله :

وانما ابناؤنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

فماذا اعددنا لهذا الرهط العزيز على قلوبنا في هذا المجال ، ما دام لا يعدله في اهميته غيره ؟!

هل اعددنا لهم المكتبات التي يجدون فيها الجدوى بكل معناها حين يجدون الكتاب المشوق المغري ، الذي يرغبهم في المطالعة ، لكي تصبح هذه المطالعة ــ فيما بعد ــ عادة اصيلة ورغبة ملازمة ، لا ينفكون يلتمسون تحقيقها حين يتقدم بهم العمر ؟

وربما قال قائل : ان في مكتبة المدرسة ، وان في المكتبة المتنقلة (١) ، نواة صالحة لذلك ، ويبقى ان تتوافر الامكانات المادية للتوسع في ذلك وتحقيق فائدته.. وهذا صحيح .

ولكن الذي نطمح اليه هو ان نهيىء لهم المطالعة المجدية حقا ــ كما قلت ــ على ان تكون هذه الجدوى شاملة وافية بكل معناها ، وانه لن يتحقق ذلك الا اذا اسهمت به الجهات المعنية بالامر كلها ودونما استثناء ، وبشرط ان يكون هذا الاسهام فعالا وذا اثر ملموس .

وهذه الجهات المعنية التي اقصدها ــ الى جانب المدرسة ــ انما هي البيت والمجتمع ، ومتى شعر كل أب وام ان من واجبهما الاسمى ، الذي لا يعلو عليه واجب سواه ، اعداد كافة الاسباب لاغراء ابنائهما بالمطالعة ، وبذلك ينميان في نفوسهم شعور الاهتمام بالكتاب والعناية به والتقدير له . على ان يعقدا معهم الحوار المؤنس حول موضوع هذا الكتاب ، وما تضمنه محتواه.

ومتى شعر المجتمع كذلك ان من واجبه اعداد جانب مهم في كل مكتبة عامة ، مما تنشئه البلديات في المدن ، ليكون وقفا على الاطفال ، شريطة ان يشرف عليه مختص متفرغ ، او مختصة متفرغة ، وذلك في حدود الامكانات التي يمكن توافرها .

اننا اذا فعلنا ذلك .. نكون قد تداركنا التفريط في هذا الجانب المهم من جوانب حياتنا ، وتنبهنا الى انشاء الجيل الجديد على النهج الاقوم ، لنجد فيه عند مستقبل الايام الجيل الصالح ، الذي يسير بامتنا نحو الهدف المنشود ، في ركب العالم المتحضر . فهل نفعل ذلك يا ترى ؟!

## هل تحدث المعجزة ؟

حين نستعرض ما مر بنا من احداث ونحن نستقبل العام الجديد عند مطلع كل سنة ، نجد امتنا العربية الماجدة ، ما تزال تقف في الموضع الذي كان نقفه منذ ما يداني ربع قرن من الزمان . واذا نحن ابناؤها الصيد ما نبرح حيث جزأنا المستعمرون ومزقوا صفوفنا ، وجعلوا من شعبنا الواحد شعوبا عدة ، ثم القوا بين هذه الشعوب من العداوة والبغضاء ، ما جعلها متخاصمة متناثرة ، ويبلغ بينها ذلك الى الحد الذي تغلق فيه احداها الحدود في

١ ــ المكتبة المتنقلة : مشروع جديد عندنا في الاردن ، تتولاه وزارة التربية ، وقد اعدت له سيارات كبيرة تنقل الكتاب الى القرية النائية لتجعله في يد الطالب الذي لا يجد سبيلا اليه هناك .

وجه الاخرى، ثم تمنع مواطنيها من اجتياز هذه الحدود، وبسبب هذه الفرقة التي ارادها المستعمرون ، وتمزيق هذا الشعب الى شعوب ، ضاع منا نصف فلسطين ، ثم ضاعت فلسطين كاملة ، ومعها اجزاء كبيرة من مصر وسوريا .

ووقف العرب في اقطارهم البعيدة .. وقفوا لا يحركون غير السنتهم بالكلام ، وربما ايضا بالتهديد والوعيد ، وكلاهما لا يغير الحقيقة ، ولا يبدل من الواقع شيئا . وكان شأنهم في ذلك ، يماثل شأنهم يوم ضياع ( لواء الاسكندرونة ) ، بكل ما فيه من ثروات الطبيعة السخية ، وبكل ما فيه من مدن وقرى عامرة مزدهرة ، وبكل ما فيه من مواطن التاريخ ، ومشاهد البطولة ، التي سجلها ابناؤه العرب خلال احداث الزمان .

بل كان شأنهم في ذلك يماثل شأنهم يوم ضياع ( اقليم الاهواز ) في العراق ، الواقع الى جوار البصرة ، بكل ما فيه من ثروات الطبيعة ايضا ، وما يكمن في ارضه من كميات النفط الهائلة ، وما فيه من شعب عربي باسل ، طالما كانت لابنائه المواقف المشهودة خلال مراحل التاريخ ، وطالما اسهموا في جهاد العرب الطويل خلال ايامهم السابقة واللاحقة !

والى جانب كل ذلك ، وبسبب هذه الفرقة اياها . تنمر العدو في ارضنا ، وثبت له فيها قواعد واركانا ، مستهينا بكل ما نوجهه اليه من تهديد ووعيد ، حين علم ان التهديد لا يعني من الحقيقة شيئا ، اذ لم يتحول هذا التهديد خلال السنين الطويلات الى عمل .. واقصد عملا ذا جدوى !

وليت الامر وقف عند هذا الحد .. فلقد اطمع بنا ما نحن فيه من هوان الفرقة والتمزيق ، والدعوة الملحة الى تحرير كل شبر مغتصب من ارض العرب .. وما اكثر هذه الاشبار التي استحالت اخيرا الى اميال مغتصبة ، في فلسطين ، وفي سيناء ، وفي الجولان ، وفي الاسكندرونة ، وفي الاهواز ، واخيرا : في الجزر الثلاثة في خليج البصرة !

يقولون في حكم الغابرين : ان الاسد ملك الوحوش لا يزار بصوته المفزع الا وهو منقض على فريسته ليمزقها اربا ، بينما تكثر الثعالب وبنات آوى من الصياح ، وهي لا تعني بذلك الصياح شيئا !

ورحم الله اجدادنا ، يوم كانوا في عزة الاقوياء ، وكان لا يرضيهم الا ان يكونوا آسادا في الحروب ، اذا حملوا السلاح لا يضعونه الا مع النصر ، لانهم كانوا يأخذون عدوهم على حين غرة ، وحسبك انهم هم الذين قالوا : الحرب خدعة ، والنصر لمن سبق !

ترى هل ينقضي عامنا الذي نحن فيه مثل تلك الاعوام التي انطوت ، دون ان نهتدي الى طريق العزة والمنعة ، حين نجمع صفوفنا ، ونوحد كلمتنا ونعيد شعبنا الممزق الى شعب واحد قوي يقول فيفعل ؟! ترى هل يحدث ذلك ؟ ام تحدث المعجزة ونهتدي الى الطريق؟!

## كلمة .. ومدلول !

سألني صاحبي :

هل تقرأ شيئا في هذه الايام ؟

فقلت وانا اعجب لسؤاله :

انني اقرأ دائما، وليس في هذه الايام فقط . وذلك لانني عرفت ان العلم بالتعلم ، وما دام المرء يقرأ فهو يتعلم جديدا من كل ما يقراه ، كائنا ما يكون هذا الذي يقراه ، ولكن لماذا تسأل مثل هذا السؤال ؟

فقال : لانني اعلم ان الكثيرين من المتعلمين لا يقراون ، وكأني بهم قد توهموا انهم بلغوا نهاية المطاف من المعرفة ، فهم من اجل ذلك ينصرفون عن القراءة في كل انواعها ..

فقلت : لعل من كان هذا حاله اجتهد في حدود رأي اطمأن اليه ، ورضي به ، وهو قد اخطأ الاجتهاد فيما اعتقد !

فقال : وماذا تعني بالاجتهاد ؟

قلت : التخمين والتقدير والافتراض ، وهو باب واسع لا حدود له ، يدخل منه الداخلون وكل له وجهته التي ينحو بها نحوا يخالف به من عداه .

قال : ما دام الاجتهاد يدور حول رأي يراه صاحبه ، فهو اذن لم يجاوز به حدود المنطق ، والمنطق — كما تعلم — امر لا يختلف عنده اثنان من الناس ..

قلت : ولكنك كثيرا ما تجد الاجتهاد يتعدد حول رأي بعينه ، وكل واحد من المجتهدين لا يجاوز حدود المنطق فيما اجتهد به ، ومع ذلك تجدهم مخلصين فيما ذهبوا اليه من آراء .

قال : وهل معنى ذلك ، ان ما يقوله كاتب من الكتاب ، عرضة لان يرفضه الكثيرون ممن عداه ، ثم عرضة لان يقفوا حيال ما فيه من وجوه الصواب والرأي السديد ، مواقف النقد والتفنيد والاعتراض ؟!

قلت : هو ذاك .. ولكن هذا لا ينقص قدر ما يكتبه الكاتبون ، وحسب الواحد منهم ان يقول كلمته ، ليعبر بها عما في نفسه . وحين يكون لها من يؤيدها ومن يعارضها ، دل ذلك على انها كلمة ذات اثر ، ويكفيه منها ان تبلغ هذا المدى ..

فقال صاحبي وهو ينصرف : صدقت .. انه ليكفيه منها ذلك حقا ..

عمان — الاردن

**محمد سليم رشدان**

# تساؤل ؟

●

أيا غصنها المياس هل انت ناضر ... كعهدي فقد تاقت اليك النواظر
وهل عبق الريحان منك على الورى ... فهب نسيم منه في الكون عاطر
وهل رنحت عطفيك حين تأودا ... رشاقة دل فنها منك ساحر
لقد اقلقت رمانتيك فرفرفت ... عليك قلوب في حماك طوائر
يصورك الشوك الملح لمقلتي ... فيهتز وجدان وتهفو مشاعر
أراك أجل ! اني أراك مع النوى ... كأن لم يغب منك الرفيق المجاور
أرى ثوبك الوردي يومض نسجه ... كأن لمحت منه النجوم الزواهر
وقد ترتدي أحلى العذارى مثيله ... فيخبو بها لكن نورك باهر
تنقل خطوا في الطريق فيكتسي ... ربيعا به تزهو الغصون النواضر
أتابع خطوي خلف خطوك عامدا ... لابصر ما نضرت اذ انت سائر
وألقى مهب العطر منك كأنما ... يزيد القوى فالباس في الدم فائر
قوام حكى ايقاعه صدحه المنى ... ففي كل خطو منه لحن مبادر
لئن أشرقت في العين منه حديقة ... لقد صدحت في الخطو منه مزاهر
يلوع قلوب الناظرين اختياله ... فتصرخ بالآه الصدور الزوافر
فيا ليته مما يباع فيقتنى ... وهيهات لو يشرى لاخفاه تاجر
تناسق والوجه الجميل ليشهدا ... بأن الذي صاغ المحاسن شاعر
لمن خصلة رفت على الوجه فانحنى ... على الورد غصن في يد الريح حائر
يهز فؤاد المستهام رفيفها ... فيشبهها اذ رف مما يساور
تميس على العينين دلا فهل درت ... بما تومض العينان والظل عابر
لدى مقلة سجواء يوحي صفاؤها ... هدوءا الى الاعصاب وهي ثوائر
بحيرة احلام تسير بذي الهوى ... الى مرفأ ما ان أتاه مسافر
*اذا نظرت اعياك تفسير ما عنت ... فتزخر موجا في حجاك الخواطر
أتسخر والاشجان شتى يشبها ... بنفسك فتان من اللحظ سافر
أتشفق اذ ترنو بعين رحيمة ... وكم ترحم الصب المعنب ناظر
أتحقر ؟ قل ما شئت غير هذه ... فيا ذلة المحقور والحسن حاقر
هواجس يخفى الرأي في دفعاتها ... كما قد ضللت النهج والليل غامر
فيا غلة الظمآن نبعك دافق ... وماؤك من اعلى السحائب هامر
تطوف بك الاحلام في ضجعة الكرى ... غديرا بمرآه تدق البشائر
متى ينقع الصادي لديك غليله ... فيروى وقد فحت عليه الهواجر
لقد صبرت اشواقه وهو عاقل ... فان جن حرمانا فما هو صابر

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

# من الشعر الايطالي

ساندرا جينونه في ثلاث قصائد

**Sandra Genone**

ورفائيلي تشيكونه في ديوانه الجديد

**Raffaele Ceccone**

ترجمة عيسى الناعوري

القصائد الثلاث التالية اهدتها الي الصديقة الشاعرة الايطالية ساندرا جينونه وانا على فراش المرض في المستشفى العسكري في عمان، مشفوعة برسالة رقيقة تقول فيها : « كم هو حبيب الى نفسي ان اتحدث اليك ، وان اكون في رفقتك قليلا ، ولكن بطريقة غير مالوفة ، وذلك بان اتلو عليك بعض الافكار التي قد تبعث فيك حوافز جديدة للامل والحياة ».

ولقد كان جميلا جدا من الصديقة الشاعرة ان تكون رفقتهالي- من بعيد - ابان المرض، بهذه الطريقة الشعرية الحلوة اللطيفة . وتقديرا مني لعاطفتها الجميلة اترجم قصائدها الثلاث ليشترك معي في الاستمتاع بها قراء « الاديب » العزيزة .

## يقظة

ما اكثر الصمت ، وما اكثر الهدوء !
وكل شيء يبدو كصحراء تتوجني .
الا الزمن بخطوه الثقيل
فانه يثقل على راسي كالكابوس .
في ذلك الشعاع الرفيع المتلاشي
الذي يصل بمثل لون قوس قزح الى هذا القبر
يضطجع عقلي معلقا ، ويهيم
في مملكة اللاشيء الفسيحة الابدية .
لكانما انا ضائعة لا اجد نفسي
في هذا الضباب الرقيق المنفرد ، وامضي
فاعبر كالالة المتحركة بحر المجهول .
آه ! لم تعد توجد تلك الشرارة الحبيبة
التي كانت حافزا لحرارة الشباب !
آه ! كل شيء هو الان صقيع حول قلبي
المتجمد في هذا الجمود .
وانا نفسي لم اعد سوى ظل مغمور
بين اشجار الكستناء الصامتة ،
يتارجح بحركة متشابهة دائما
ثم يتلاشى في مهاو مظلمة .
أانا شبح أم قزم ،
أم انا انسان ضائع ولكنه يسير
باحثا عن الطريق الاكثر قربا ؟

## نشور

فرحة تتموج في الدروب
ومداعبات هادئة من الربيع ،
ورعشات بطيئة ومتشابهة
في قلق الصباح الجديد .
هلم انهض من الضباب الشتائي
فلقد بعثت الحياة الدفينة
تلفها نشوة لعوب
وتجعل قلبها يخفق
ويموجها في خضرة الحقول اللامتناهية .

•

على موجة من المرتفعات التي تبهرها الفتنة
ينبعث الامل القديم من جديد
وتولد الحياة مرة اخرى ، والحلم
يعود الى جنونه الابدي

ان في الهواء لحرارة
وحنينا لاهثا
من الف شيء وشيء .
انظر الى الشمس البعيدة
وارفع عينيك الرماديتين
عن هذه الانسانية
وافتح قلبك ، واضحك :



الشاعرة ساندرا جينونه

ان ثمة ضحكة ترتفع
من الطبيعة باسرها
وتهز شقاء الحياة
هزا ابديا عميقا

## طبيعة

رصاص السماء وقلق السر الغامض
في القلوب البدائية للاشياء
وحنين صامت واسترخاء .
وتموج خفيف في القمم المنهوكة
قمم اشجار الحور الصامتة ، على نسيم
المداعبات والتنهدات الحالم العليل .
وفي الهواء نسمة انتظار خفيفة
تمر ، وتحمل اليك اصداء من
خفقات اجنحة بعيدة وتخيلات جميلة .

اما الشاعر الايطالي رفائيلي تشيكوني Raffaele Ceccone فقد بعث الي بمجموعته الشعرية الجديدة ( حياة سارقة Una vita Ladra ) الانيقة جدا : باخراجها، وورقها، وغلافها الجلدي السميك، وطباعتها الجميلة . وقد اهداها الى: (عيسى الناعوري ، صديق ايطاليا والشعر الايطالي).

وهذه المجموعة تحتوي على ٤٦ قصيدة : قصيدتان منها ، هما الاخيرتان ، من القصائد الطوال ، والاخيرة منهما بعنوان « حياة سارقة »، وهي التي خلع الشاعر عنوانها على المجموعة برمتها .

من هذه المجموعة اقدم الى القارىء العربي المجموعة التالية ، وفي طليعتها تلك التي يحمل الديوان كله عنوانها :

## حياة سارقة

اليوم بين الجذوع المقطوعة
وجدتني مثل الاخرين
أدوس الغصون
غير مبال بالنفايات واعقاب السجائر .
لقد سلبوا مني حضورك
وطوق ذراعيك الحبيب
وطيران العصافير ، والصباح
المجدول من رؤى صافية .
لقد سلبوا مني الشمس
والمشاهد الطبيعية
ليردوني الى سهرات الاشباح
في صحبة الرغائب الموجة
والنهب ، والمخاوف ، وهجمات السعال
من اجل لعبة يحرسها
الذكاء المر وهو حبيس داخل اسواره .
في كونكارنو مع ارتفاع المد
وفي ليلة طليطلة القصيرة
وفي سماء سانت ميشيل

الذي اصبح منتجعا لعطلات اخر الاسبوع
جرجرت برامج شديدة التقييد
واحذية مغبرة وصورا شمسية منهوكة
مترقبا في الغالب ان يبزغ مرة
يوم سعيد كامل
ابقى فيه غير ملموس ، كما يحدث
في معجزة الواجهات الزجاجية في شارتر .
لقد سلبوني ازهار ايلول
وخـــداع الحس

. . . . . . . . . .

الذي تنسى فيه الحياة .
تحت ملوحة جلدي
اكتشفت متاهاتي في دمي
وفي كل مكان من حولي رأيت النوايا
والفراشات غير المستقرة ، والموانيء الورقية .
لماذا لا تسالين تلك الغمامة
عن السبب في عبورها ؟
لعلها ستحدثك عني بذكريات
حكاياتي الهشة .
ولكنها لن تعرف كيف تقول لك لماذا
اكتب على الماء حكايا ضياعي
ولا لماذا تحولت سماء افكاري
الى قبة هوائية .
اعطوني الان . . . . .
في هذيان مفاجيء ،
غير ان واحدة منهن فقط
سافتح لها ابواب منزلي .
واود ان تكون لها عينان جريئتان
للنقل والرقة .
أود ان تكون لها يدان بيضاوان كالفجر
فيهما من التعزية ما في ليلة سلام .
لماذا لا ينطفيء ابدا ، بل ينمو ،
هذا الحب الذي يتولد منك
ويتمجد في اشكال انثوية
مفعمة بالجمال والدم ؟
ولماذا يجذبني شباب الجسد بقوة مع السنين
بمثل القوة التي يردني بها
وفي اللحظة عينها التي اكتشفت فيها
في عيني الناقدتين غضونا ودموعا متحجرة ؟
لقد سلبوني هبة نسيان نفسي

. . . . . . . . . .

في وجهك المزهر في الظلال
كثمرة من لحم لا تجس .
سلبوني ضحكة الظفر
وبدلوها بألم يظل مستمرا
حتى حين اشد نفسي الى جانبك
وديعا مستسلما الى اغرائك .
وتتسلق .... كالبومة
لتلصص علينا من خلف القضبان .
وفي الانتظار نلعب الورق معا
تحايلا على الحب .
غير ان الحب في داخلي يضيع عند غيرك

بين رشاشات من البحر عالية جدا
او في أصداء لواعج عميقة
تمزقها قلة الامل .
لقد سلبوني ....
والخطوة الثابتة .
سلبوني الكعكات الاكثر استدارة
والاشد نعومة
ليتركوا لي زوايا مسننة
منثورة في كل مكان من الصخور العارية .
اولا ترين انت أيضا الاسماك الميتة
على طول الشاطيء الخائن
ما بين شباك صيادين منحنين
وعاكفين على تصليح الشباك الجاحدة ؟
يقولون انه ينبغي الهرب
من هذا البلد المنعزل .
ينبغي الصعود الى القمر
بصواريخ ضخمة مشتعلة
واكتشاف افواه براكين ضخمة
واخطار جديدة
ونشر حيوات جديدة
ازاء اطارات مفرطة الحساسية .
ومع ذلك ابقى هنا ثابتا كالمرساة
في تحطم سفينة تذكار قصير
لاهدي اليك كلمات
سيسلمها الزمن الى مدى مجهول .
أنا بالنسبة الى نفسي الجذع والنبتة
وبالنسبة اليكم هذه الشهادة الوحيدة .
ولست اعرف حقيقة اخرى أثبت من ذلك
غير هذا الصوت
الذي ، على الرغم من انه هالك ، فهو دليـل
نفسه
في حقل من اشجار الرتم المحطمة .

الشاعر رفائيلي تشكونه

لقد سلبوني الاغاني الاكثر حبورا
ودقات الدف الصارخة الساحرة .
سلبوني الافراح الاكثر سهولة
والوعود الاكثر خداعا
والطرق التي كانت تبدو للعيون
حرة دائما .
لقد سلبوني اشياء كثيرة
ولكن لم يسلبوني جنوني المتواضع هذا
المصنوع من الاضواء والقلق معا
يجرها مسرعا احد الكواكب .

## الى ابي

يـا أبـي ،
لقد كنت من جذع قوى
حين بقي شتاؤك الاشد نحولا
من دون غضون
جمجمتك لامعة
وجلدك متغضن
الا ان عينك ما تزال صافية
وفيها كنت اقرأ خيبتك
يوما بعد يوم .
ان ما علمتك اياه السنون
علمتنيه وجهك .
يـا والدي الاعرج
المريض على المقعد المنخفض
لقد كنت احدثك في أتفه الامور
وكنت تفهمني من دون اصغاء
انني لاتساءل : ماذا عسانا نصير
من دون هذا المجرى المظلم
ومن دون هذا التفاهم الاخير
الذي قدسه لنا الاباء والبنون ؟
انني لاذكر يـدك
كانهـا المخلـب
ومع ذلك كانت لها معي مداعبات
لا انساهـا .
يا أبي ، لقد كانت شيخوختك الجسر
الذي وحد بيننا بقوة قبل الرحيل

## جزء مني

اكان اذن جزءا مني
هذا الاب الذي غاب
في الوقت عينه الذي كانت تمر فيه على الدرب
بائعات ازهار يحملن سلالا ملأى بالزهر ؟
ألوان ملتهبة جدا وحية جدا
بحيث تكاد تصيب بسوء
ازهـار قويـة
ازهار ساحرة حقـا
ازهار غامضة السخرية .
وكنت اسير على شريط من شمس
والظل الان اقل بكثير

من ان يخفي دموعي الانسانية
القليلة المحرقة
لقد كان دائما يتاخر يوم الالم
والان وقد اتـى
لو نظر الناس الى وجهي
لبدا كما كان في الامس

## غـروب

لقد تحدثت هذا المساء مع غروبي
فسالتـه :
« ماذا سيكون من بعدك ؟ »
فابتسم لي بفمه العريض
دون ان يجيب
مبتلما في حريقه
خداعات لم يتم شفاؤها بعد .

## في الصمـت

تدفئني بالشمس
كصخرة نيسان
عندما يداعب الهواء
منافذ الكرى .
لقد فتحوا باب الرخاء
ومن حناجر البشر الجافة
تخرج اغاني الاسطوانات .
ولكنني في الصمت اجد من جديد
ما كان قـد ضاع
في الف جـدول
وفي اختبائي عند اقدام الجدران
كالمتسولـين
اسمع معزف اشجار الصنوبر والزيتون .

## لو كنت املك

لو كنت املك الضحكة فقط
لكنت ما ازال ثمرة خضراء
لو كنت املك الالم فقط
لكنت حيوانا سعيدا
ولكن لو كنت املك الدموع فحسب
لكنت انسانا كامل الانسانية

## انا موجـود

لست ارى بيوتا ، بل ارى البحر وحده
يستريح في نفسه
تمر سفينة بزينتها الكبيرة
ولكنها بعيـدة .
انني موجود اليوم الساعة الحادية عشرة
في هـذا الوادي .
كانها ولدت هنا .

## حنين

يحن قلبـي أيـان كنـت   الـى بلاد فيهـا ولـدت
الـى ربـوع نشأت فيهـا   ومـع رفـاق الصبـا لعبت
كي ينطوي الجسم في ثراهـا   ان حـان يـوم السرى ومت
انضم تربـا الـى جـدود   قـد سبقوني وقـد لحقت
ان كنت حيـا عنهـم بعـدت   حسبي ميتـا منهـم قربت
فعاش لبنـان جنـة أرض   جملهـا الارز والازدرخـت
وعاش لبنـان مسقط رأسي   اليـه أهفو مـا العمر عشت

غرنفيل ـ امريكا   نعمة حاج

## من سيحرس ؟

جفونك ترتعش شبه مغلقة
وانت تحدقين في ذؤابات الجبال .
ومن الغابات يترامى الينا
عبير حكايات منسية
من ذا الذي سيحرس حديقتنا
الحمراء من الحب والتوليب القرمزي ؟

## اجـراس

اجراس البندقية ليـلا
لها اصوات حوار انساني
وحين اصغي اليها لا ادري ماذا اريد :
أن احيا أم اموت !
هناك اعمى طعين يعرض على القمر
جبين كروبه وآلامه .
اجراس البندقية هذا المساء
ترفع دقات هادئة
مع المد والجزر اللذين يكيدان
لجمال راح يغرق في الاعماق .

## تسقط الاوراق

لي شفتان ، ولكن دائمـا
للصمت على الاكثر .
ان الحياة تمتد في مسكنة
نحـو النقطـة القصوى .
والذكاء ـ الذي يزداد رسوخا كل يوم ـ
يجعلنا نتفلق في انفسنا
وتسقط الاوراق ليس في الحقول فحسب .

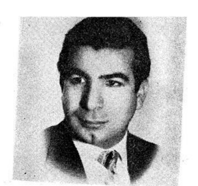
## قنـوات

ايتهـا القنـوات المهجورة
الواشية بخطاي الليلية
في الهواء الرطب الذي يلف
ضميرا مهشما .
الان يستريح الناس في شبعهم
بعد العشاء المالوف ،
لقد ابتلعوا اخطاءهم واخطاء الاخرين
وتعاساتهم واحزانهم .
مسيرة ظفر في الليـل
اعزف فيها نايا من فضة .
ولكن ها انا اتوقف على الشاطىء
عند قنوات يقظى ،
في مظهـر مريـر
كامير محروم من الميراث

## فلنـزرع

فلنزرع على الارض زهرة
جرحـا في الـدم
ورحلة متواصلة كل هنيهة
هنالك من يمر مرورا سريعا
كانـه المثـل .
عيناك الزيتونيتان
تبقيان ما بين شجيرات وبذور

عمان ـ الاردن   عيسى الناعوري



وحيد الدين بهـاء الدين

# سامي الكيالي ذلك الاديب المعاصر

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

صوت مدو من اصوات الادب العربي المعاصر ، طالما تناهت الى مصدره الابصار والبصائر ، لقوته وجدته .. اصالته وترامية عبـر حـدود ثقافتنا العريقة المستديمة ثراء وعطاء ..

وهل كان لهذا الصوت الا صداه .. ؟!

اميز ما في حياة سامي الكيالي الفكريـة انـه بداها كاتبا يدبـج الخواطر والمقطوعات ثم مراسلا لبعض مـن صحف القاهرة وبيروت ودمشق .. كانت مقالاته عن الثورة السورية في عام ١٩٢٨ تنشر على الصفحة الاولى من جريدة « السياسة المصرية » .

وما يزال ..

اذا به ، وفي قرارته يستشعر ان هناك فراغا فظيعا بات التردد في سده خيانة ذاتية ، ويستشرف امادا بعيدة لا ندحة عن ارتيادهـا دليلا على معنى وجوده وتعبيرا عن طموحه .

حتى كانت ولادة مجلته « الحديث » ...

لا مغالاة في ان « الحديث » حـدث ضخم في تاريخ الصحافـة المعاصر ، لانه يمثل مرحلة وان شئت فقل مدرسة من مدارس البعث والتجدد في الادب والفكر .. قائمة برأسها .. خليقة بان توضع عنهـا رسائل وكتب على مستوى جامعي وعلى غرار مـا وضع عـن صحف « الاهرام » و « البلاغ » و « البلاد » .. فقد خطت خطوة غير مألوفة في الصحافة الادبية ودعت الى الاصلاح وحرية التفكير والتعبير ومنهجية البحث تطبيقا وهدفا في وقت كانت فيه معظم اقطار الشرق العربـي تغط في رقاد من التخلف والانكماش الناشئين عن اوزار الاستعمار .

وصدور « الحديث » في اواخر العشرينات كان بداية انفتاح على عالم متغير يتطور سراعا وعلى تياراته الصاخبة ، ونقطة تحول نحـو المذاهب التجديدية في مضمار التحرر السياسي والفكـري وفي مجالات الاصلاح الديني والاجتماعي والتعاطف معهـا والاستجابة لبواعثهـا الخفية والظاهرة معا . حدد الكيالي رسالة « الحديث » : « الحديث مرآة الادب الحي . لا يتقيد ببلـد ولا يتعصب لاحد ويرحب بكـل الترحيب بكل اديب وبكل مفكر . ينزع هذه النزعة الجديدة التـي تخطو بنا الى الامام » . كذلك قال في كتابه « الادب والقوميـة فـي سورية » : « استطاع الحديث خلال هذه الفتـرة الطويلة ١٩٢٧ – ١٩٥٨ ان يتابع سير الحركة الادبية والنزعات الجديدة في الادب وهـو مرجع وثيق لكثيرين من الباحثين في الدراسات الادبية » .

من هنا تالب المتزمتون في حملات من الطعون والتطاول على الكيالي وعلى الكتاب الاحرار ، هؤلاء الذين جعلـوا يشدون ازره ويغـذون « حديثه » وفي طليعتهم الدكتور طه حسين لقيامه بنشر دراسة موسعة عن علاقة الدين بالعلم ونضالهما عبر العصور المترادفة .

انما ثار هؤلاء الرجعيون على موقف الكيالي الايجابـي الجريء لانتصاره للقيم الجديدة ووفائه للنزعات الحرة حتى انتهوا الى مطالبة الحكومة القائمة يومذاك – اذ رفعوا عريضة اليها طولها متران وعرضها متر – باغلاق مجلته وعزله عن وظيفته واحالته الـى المحكمة تمهيـدا لاعدامه ..

بيد ان الكيالي وقف ازاء هذه الموجة العارمة من السخط والتهم الباطلة ثابت الجنان ، غير ناكص علـى عقبيه . ومضى « الحديث » يشق طريقه ويصدر اثنين وثلاثين عاما وهو ينسخ ظلمات مثريا الفكـر العربي واضعا لبنات الحرية والابداع في هيكـل الادب حاملا لـواء السفارة بين المستشرقين والمستعربين .. الادبـاء والشعـراء الـى ان توقف عن الصدور في مطلع عام ١٩٥٩ . وبهذا يقول الدكتور عمـر دقاق : « وحققت المجلة قدرا كبيرا من التفاعل بـين ادباء ذلـك الجيل » ..

الكيالي شخصية ادبية على نطاق واسع ...

تناصرت على تكوينه اسباب . بعضها يتصل بما جبل عليه ، كما يعود بعضها الى تجاربه الحية المعاشة ، بينا البعض الاخر يحمل على مفارقات اكتنفت افاق حياته من حيث لا يدري .

لقد طرق اكثر الانواع الادبية .. من شعر منثور واقصوصة الى مقالة ونقد .. الى دراسة وتحقيق .

من هنا توزعت مواهبه وتضاءلت ابداعاته ...

فنان اصيل هو الكيالي حين يسكن الـى هواجسه وسوانحه ليصورها كما يشاء ويعبر عنها باسلوبه الحركي الرائق وهـو مطمئن اليه بكل عقله وقلبه . لعل منشا هذا حساسيته المفرطة وتوتـره الفكري البائن على مدى حياته الادبية الخصيبة .

ثم انه في مقالاته واحاديثه يأبى انحباس ما في صدره ورأسه .. فتنطلق ذاته على طبيعتها لترود الافاق والاقاصي تارة وتختصر المتاهات والمجاهل تارة اخرى وتنعم بما يحلو لها تارة ثالثة ، كذلك تتداعـى افكاره وتنثال خطراته ويتوغل خياله في جواء لا حد لها . لانه يعرف كيف يصوغ عباراته والفاظه ويطوعها لقلمه السيال ، حتى يجري فيها دم الحياة والتجدد والاثارة .. ان الكيالي في مقالاتـه واحاديثـه نابغة .. عظيم .

انظر اليه ماذا يقول :

وتشرق الشمس ثم تغيب لتعود مع الفجر اشد شروقا وابهـى سناء واكثر لمانا وسطوعا .

وتتناثر اوراق الخريف لتعود مع يقظة الربيع زهورا عبقة زاهية الالوان جنية الثمار ..

وتنطفىء النجوم ثم تعاود بصيصها ولمانها في الليالي المحلولكة الظلام .

وتمر الايام والشهور وتتعاقب السنون وتطوي معها الاحداث ثم تعاود دورانها مع الافلاك وكانها في بدايتها الازلية ..

الا الانسان – هذا الآدمي – فلا يكاد يلفه العدم في لا نهاياتـه الجون حتى تطول غيبته ويطول فراقه .. اي فراق .. ولا يـدري الا الله متى يكون البعث والنشور .. اي متى يكون اللقاء .. ومتـى

يتم التلاقي .

اي بني ....

تالله لا تنفك لي شبحا   يمضي الزمان وانت لي شجن
ما اصبحت دنياي لي وطنا   بل حيث دارك عندي الوطن

ويقول في مقطوعته « جمال وذكاء » :

جمال ارستقراطي نبيل
ونفس علوية الاشعاع
وذكاء حاد يقدح كالشرر
وعقل يلتمع بالمعرفة والنور
وجسد كالبلور
وابتسامة مشرقة كخمائل الزهر
ووجه ضاحك يفيض باجمل معاني الحب والوجد ـ هذه الصفات
تجسدت كلها فيك .. انت ايتها الرشيقة الفاتنة ..

بوحي من اهمية دراسة التاريخ في بناء الحياة على اساس من بث روح اليقظة والاقدام في الناشئة لاستدراجها الى التفكير الموضوعي والنقد الذاتي نحا الكيالي في مؤلفاته « سيف الدولة الحمداني » و « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره » و « السهروردي » و « نظرات في النقد والتاريخ والادب » و « صراع في سبيل القومية العربية » منحى تاريخيا .

انه يرى ـ كما يخيل لنا ـ من الصعب على الانسان العربي القلق بعد ان تداخلت دونه معالم الطريق من جراء التعقيدات الالية البحتة ان يتقبل الامور على علاتها كما لو كانت بديهيات مالوفه لديه بل ينبغي له ضمانة لمصيره ان يستخلص العبر من بطون الماضي ويستنطق البطولات من صفحات التاريخ القديم مستمدا منها العون على المواجهة وعلى دفع عجلة الحياة الى الامام بكلتا يديه مستثمرا امكاناته والا فان غول الاقدار كفيل بابتلاعه .. معناه ان الكيالي لا يبغي الانفصال عن الماضي والتنكر لعظمته لمجرد تواريه مأسوفا او غير مأسوف عليه واندثاره بين طيات الابدية الى غير رجعة ..

بل يؤكد على هذا الماضي وضرورة استيحائه لانه لا يصح ان تعيش الامة ، اية امة ، بمعزل عن ماضيها القريب او البعيد ، فجذوره واغلة في اعماق وجودنا ، عاملة على اظهارنا حضاريا وانسانيا ولانه من ثم يرهص بصرح الحاضر الماثل وهو الذي يخطو بنا ونبدأ الى سدة المستقبل . ها هو ذا يقول : « وان اعجب فعجبي من اولئك الهدامين الذين يدعون لهدم كل صلة لنا بميراثنا القديم وهي لوثة الشعر بين الحاقدين الذين يزينون لشبابنا الطري العود باساليب مغرية . هذا الاتجاه المعوج السقيم الذي يرمي الى التشكيك بجلال ماضينا والكفر بخصائصنا واذابة شخصيتنا العربية التي عاشت طوال الظروف في حفاظها على اصالتها المتميزة رغم الغوائل التي غالتها والاهوال والنكبات التي عصفت بها .. » .

انما معالجة القضايا التاريخية من اعسر المسائل التي يتصدى لها الباحثون لانها الى تطلبها دقة في سرد الاحداث والحقائق التي يجب أن تدعم بادلة ووثائق تفرض عمقا في الرؤيا ونزاهة في الحكم .

والكيالي في بعض ابحاثه ـ كما يرى النقاد والمتتبعون ـ يميل به الهوى كما لو كان متعصبا .. والتعصب عند الدكتور احمد امين ـ غيرة عمياء . فان القلب ـ وان كان محبا مخلصا ـ هو الذي يتكلم، بينما المفروض ان يتكلم العقل لوضعه كل شيء في موضعه الطبيعي ابتغاء وجه الحق والنصفة ..

يعترف الكيالي ضمنا بهذا كله في مقدمة كتابه « امين الريحاني»: « واذا قاد الحب المؤرخ الى سيرة ما الا يكون عاطفة المحبة هي التي تقسر الكاتب ان يجانف الحقيقة احيانا وان يغمض عينيه عن نقد النقاد وقد يتخذ براعته لطي المآخذ والزلات وقلب السيئات حسنات».

ويعزز هذا الاعتراف المستعرب اسماعيل احمد ادهم حين قدم لكتاب « سيف الدولة .. » بقوله : « غير ان هذا الموقف يميل به بعض الميل الى جانب سيف الدولة وهو في هذا مدفوع بفكرته ان يتناول حياة سيف الدولة ببحث وما دام سيف الدولة موضوع البحث وركنه فالشاعر العربي الفذ يمر في اطار من حياته الامير الحمداني يستمد منها لعبقريته وسائل الظهور . وهذا الميل يظهر في كلام الكيالي » .

اثنى الدكتور طه حسين على الكيالي في المقدمة التي كتبها لكتابه « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره » في الوقت الذي عد الدكتور مصطفى جواد هذا الكتاب « من الكتب التدليسية البعيدة عن البحث العلمي المجرد من العواطف الزائفة » واستطرد قائلا : « والكتاب غير خال من الفائدة الادبية الا ان اسم ( الفكر الاسلامي ) كان اولى به من اسمه الحالي وذكر : أن مؤلفه وقد كان صديقا لي بالمراسلة عمد الى كتاب ( معالم القرية في احكام الحسبة ) لابن الاخوة فاخذ منه ما اخذ وعده ثقافة عربية مع انها اسلامية تمثل عهد المماليك الاتراك بمصر والشام . ومن المعلوم ان الحسبة هي من امور القضاء والقضاء اسلامي بحت فكيف تنسب فضائل الاسلام ومساعي الرسول الاعظم الى العرب وحدهم في عصر لم يكن لهم فيه من الحكم شيء (1) » .

اما ابو القاسم محمد كرو فقد ذكر في كتابه « ابن خلدون والعرب » : « ويبدو ان معلومات الاستاذ الكيالي التاريخية بعيدة عن الواقع وحقائقه الثابتة » كما ذكر في موضع اخر : « الكيالي يريد بمثل هذه المعلومات المشوهة والمغالط العجيبة ان يقيم الحجة على من هو في التاريخ حجة .. » .

ثم يقول عبد القادر القادري عن الكيالي في مجلة « دعوة الحق » المغربية (٢) ، بعد ان رآه حائدا عن جادة البحث الصحيح والحقيقة التاريخية الواقعة بشأن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في مقال نشره بالعدد ١٥٢ لعام ١٩٧١ بمجلة « العربي » الكويتية ـ يقول عنه بالحرف الواحد : « فمتى يكف كتاب المشرق العربي وخصوصا العرب المسيحيين عن اتهام السلطان عبد الحميد الثاني بما هو بريء منه ونرجو ان تكون حملة الكاتب سامي الكيالي في مجلة العربي على هذا السلطان المسلم ـ الذي يعتبر في نظر شكيب ارسلان داهية من اعظم دهاة العصر الحديث وسياسي في منتهى الحصافة ـ اخر حملات كتاب العرب المسيحيين .. » .

لا غرابة في أن يعد عبد القادر القادري ( الكيالي ) من الكتاب المسيحيين لانه لا يعرفه ويجهل شانه .. ولكن الغرابة في ان يتأثر الكيالي وكثيرون غيره بما يذيعونه بالدعاية الماسونية الخبيثة التي صورت السلطان عبد الحميد الثاني على غير حقيقته وألبت عليه الاعداء والخصوم حتى افلحت في اسقاطه وخلعه لا لشيء سوى انه ابى اباء ان يساوم على ارض فلسطين المقدسة .

نخال ان قدرا اكبر من المتعة الروحية والعقلية يمكن ان يتحقق للانسان عند مطالعته « ادب الرحلات » لتمايزه بعناصر الصدق والتلقائية والخلق .

اذا استجلى ادب الرحلات الحياة بكل اضوائها واصدائها واذا عرى المجتمع بكل تناقضاته ومفارقاته فانه ينتشل العقلية من الضحالة والانغلاق ويحرر الطبيعة البشرية من التزمت والقناعة .

والكيالي هذا الذي بهرته انوار الحضارة واجتذبه سحر الاطلالة على هذه الدنيا واسكرته خمرة البحث عن الطارف والتالد .. المخبوء والغريب كان حظه من الرحلات والسفرات كبيرا ..

زار بلدانا عديدة .. خالط امما شتى .. اندمج في اشياء كثيرة.

فقد شاهد الاقطار العربية والاسلامية واوربا واميركا والربوع الاندلسية . وكانت آخرها رحلة الحج الطواف في بيت الله الحرام .. من رحلاته قفل بكتب تعد صورة صادقة له بأبعادها واعماقها .. الوانها وظلالها ، وتقف في صف واحد مع بدائع كتب الرحلات في الخزانة العربية المعاصرة ، وهي « شهر في اوربا » و « خواطر عربي في اميركا » و « في الربوع الاندلسية » اضافة الى عشرات المقالات

واللمحات المنشورة بالصحف وببعض كتبه المطبوعة .

الملاحظ ان ادب الرحلات عند الكيالي لا يعدو ان يكون استجابة طبيعية للانفعال والمشاركة وعملية فنية في تخليد الذكريات الاصيلة .. الرائعة في سجل الحياة . وهذا النوع من الادب من غير شك حري بالتدوين والتنويه ، فقد يسهم في تعميق المعنى الانساني الذي ترمز اليه هذه الذكريات والانطباعات ، ويعكس التراث الحضاري لشعب من الشعوب وفي حالة من حالات التاريخ .

ويعنينا بصورة خاصة كتابه « في الربوع الاندلسية ، لانه في الواقع لوحة مشرقة .. حية لحضارة عربية اسلامية قامت على انقاضها حضارة العالم الجديد في ما بعد بالرغم من ارهاصاتها واشعاعاتها الماثلة للعيان الى اليوم . وقد صدق الكيالي قولا وكله تحسر وتأسف: « هنا كانت تقوم مدينة الزهراء ، ورأيتني في ارض خلاء واخذت اتساءل اين جامعها الذي فرشت ارضه بالرخام الخمري . اين منبره البديع الزخرف ومقصورته العجيبة الصنعة .. ؟! حتى الاطلال قد اندثرت وقد عدت اندب الماضي واتساءل : اين الزهراء .. اين قصرها العجيب . اين جامعها وحدائقها وقصورها . لم يبق من كل ذلك غير ارض تعصف في ساحتها الرياح .. وا أسفاه .. ؟! »

تستأثر بكتب الكيالي الثلاثة هاته ابعاد فنية هي الحديث على الفطرة والرشاقة في الاسلوب التصويري الى جانب القدرة على الايحاء والسهولة في الانتقال من مشهد الى غيره .. مثلا يقول : « وكان القطار يسير بسرعة البرق في طريقه بين الادغال والاحراج . وبدت الارض تتراءى لنا بحقولها ومزارعها وجبالها كانها قطعة من سيبيريا . بعد فترة لم تطل من سير القطار عاد الجو لينكشف من جديد وقد اطلت الشمس باستحياء فزادت المنظر جمالا وروعة . لا شيء اجمل من منظر الحقول المغطاة بالثلوج اذا كنت في غرفتك الدافئة تتأمل بعض هذه الالوان من ايام الشتاء . اشعر وانا في القطار وقد تمددت على هذه الارائك المريحة في جو دافىء وجميل ـ اشعر وكانني في بيتي ... ان للشتاء جماله ولا سيما اذا استطعت ان تنفصل عن محيطك الى محيط لا تعرف عن طبيعته شيئا .. هذه اشجار باسقة ذات اغصان قوية قد صمدت سنوات وسنوات ثم عصفت بها الرياح فارتمت الى الارض لتؤلف منظرا سينمائيا جميلا لمن يريد ان يشاهد قوة الرياح حتى تعصف وتزمجر وتقتلع كل ما يقف في طريقها » ...

لم يؤثر عن الكيالي انه قصاص الا ان له نصيبا لا بأس به في مزاولة الاقصوصة .. عمد اليها اشباعا لرغباته الطارئة وتصويرا ما جال بخاطره من افكار واخيلة .

فاقاصيصه انعكاسات لقطاعات من الحياة وابراز لشرائح اجتماعية وتحليل لمشكلات فردية ذات اهواء ، ما فتئت ترافق المجتمع في مسيرته .

ان كتابه « سيف الدولة الحمداني » ولو كان عملا تأريخيا فان فيه من السرد القصصي ما يجعلك تحس كانك في اجواء القصة لا في رحاب التاريخ ، وان صار من المسلمات ان بين التاريخ والقصة علاقة عضوية .

ثم هناك اقاصيص للكيالي في بعض اعداد مجلته « الحديث » وفي كتابه « المرأة .. ذلك اللغز الابدي » منها « عائشة » و « قصة امرأة » و « قصة في رسائل » وما اليها ..

الى جانب هذا كله فله مجموعة اقاصيص عنوانها « انواء واضواء » ، قال عنها محمود تيمور : « اول ما يأخذك في تلك المجموعة انها حافلة بيقظة الحياة تلمح فيها وميض التوثب والغلاب ، فيها انتفاض على الجمود ونزعة الى تحطيم الاغلال وتطلع الى افاق حرية وانطلاق » ..

معناه : ان ما تنطوي عليه هاتيك الاقاصيص من المعنى ، وما تهدف اليه من المغزى رائعان وانسانيان معا .

ولكن ... ؟! اذا كان لا بد من تقييم هذه الاقاصيص فنقول : انها يعوزها القالب القصصي الصحيح ، وبه تتجلى الحبكة الفنية والاصالة في تحريك الشخوص وسير الاحداث . من هنا يمكن عدها لوحات او قصصا ( مقالية ) اكثر من اي شيء اخر .

ولا يصح ان اضرب صفحا عن حقيقة تهم تأريخ الادب ، هي ان المستعرب اسماعيل احمد ادهم كان ترجم رواية « بنت يزيد » للكاتب التركي رفيق خالد ونشرها مسلسلة على صفحات « الحديث » في اواخر الثلاثينات ولم يبق منها الا الفصل الاخير لانتحاره المفاجيء غرقا بالبحر .

وما كان من الكيالي الا النهوض في منتصف الخمسينات باكمال النقص ، خدمة للادب المعاصر ووفاء لذكرى صديقه الراحل ثم الاقدام على اصدار الرواية المترجمة كاملة تحت اسمه في سلسلة « اقرأ » ، وكان من الاجدر حرصا على كرامة العلم اصدارها تحت اسميهما .

دراسة شخصيات الفكر والادب والاصلاح تلك التي لها خطرها واثرها في تحرير الاذهان والنفوس وتمهيد السبيل لكل الافاق والمنطلقات كان للكيالي معها موقف ايجابي ..

ولولا اضماره محبة عميقة لحملة المشاعل المتوهجة هؤلاء لما درسهم كما اراد ولما اعارهم كل عنايته باذلا من وكده ووقته الشيء الكثير كما لو كانت امانة باهظة مقدسة في عنقه . يقول الكيالي « لا انكر ان نزعة الحب هي التي دفعتني ان اكتب عن هذه الشخصيات .. اريد نزعة الاجلال والاكبار لكثير من بطولاتهم ونزعاتهم واتجاهاتهم الحرة التي حررت الفكر واطلقت العقل » .

لقد وضع تواليف مستقلة عن « طه حسين » و « ولي الدين يكن» و « امين الريحاني » و « الجاحظ » و « ابي العلاء » وكتب في عشرات من الادباء والمفكرين .. الشعراء والفنانين في دراساته المستفيضة وفي مجموعاته المقالية وفي صوره القلمية منها كتابه « الراحلون » ...

فاعجابه بالدكتور طه حسين وقد استحال صداقة وطيدة دامت اربعين عاما ، حمله على ان يفرد عنه كتابا صدر في جزءين من سلسلة « اقرأ » على تباعد الايام ..

حوى الكتاب انطباعات الكيالي وذكرياته عن عميد الادب العربي وتحليلا لمراحل حياته واهم ارائه ونظراته في ما يتصل بحياتنا العقلية وقيمنا الجديدة المتفاعلة ثم تفسيرا مكثفا لمعاركه السياسية والنقدية والفكرية .

ولكن الدكتور احمد الجلبي مؤلف كتاب « كيف تكتب بحثا او رسالة » يقول : « والمطلع يرى ان سامي الكيالي يمدح الدكتور طه حسين في كل سطر ويدافع عنه في كل فقرة ويملأ صفحات كتابه ثناء واعجابا بالمفكر الحر والكاتب العظيم دون ان يخط سطرا واحدا ينتقده به او يخالف فيه اراءه . فهذا كتاب وما كان من الممكن ان يكون رسالة ... » .

معنى هذا : ان الكتاب ليس من الكتب العلمية الملتزمة اسس البحث المجرد ..

اما كتبه « ولي الدين يكن » و « النفس الانسانية في ادب الجاحظ » و « امين الريحاني » فقد طبق في تاليفها الطريقة الجامعية الكلاسيكية بالنسبة الى الاول ، والطريقة الجامعية المتطورة او المتعاصرة بالنسبة الى الكتابين الاخيرين من حيث العرض والموازنة والنقد الداخلي والخارجي الى جانب التوطئة بالاحوال العامة التي عايشتها الشخصية المدروسة ناهيك بتأثير التيارات الصاخبة في مجراها ..

على ان اعطاء فكرة صحيحة وتجسيد حقيقة واقعة عن هذي الشخصيات من خلال تقييم اثارها وتحليل افكارها والوقوف عند ما استخلفوه من اثار هو ما ركز عليه الكيالي ، وكان في ذلك كله على مستوى من التوفيق مشهود .. باتت معه كتبه مراجع في الخزانة

# يـا حـلوتي

يا حلوتي هل تعلمين ... أني أحبك من سنين
وبأنني صرف الهوى ... متوسل .. أتصدقين
دقات قلبي من هواك ... .. نشيدها.. أفتسمعين
فكأن دقات الفؤ ... اد .. رسائل الحب الامين
وكأنها يا حلوتي ... نبضات أعصاب الحنين
وكأنني من نارها ... يا حلوتي .. في الهالكين
فصلي عشيقا مدنفا ... قد بات متصل الانين
فاذا فعلت فربما ... أحييت أشقى العاشقين
لا الصبر ينفعه ولا ... ينفك مما تصنعين
وترفقي .. ان الهوى ... ان ترفقي .. أفترفقين

الناظور ـ المغرب ... القمري الحسين

العربية . ومصداقا لما نريد جاء في مقدمة « النفس الانسانية في ادب الجاحظ » « فنحن حين نرجع الى ما تركه ( العقل العربي ) من تراث ذهني اصيل نقف مزهوين ومعجبين ويقف غيرنا ولا سيما المنصفون من شتى الامم ـ يقفون مبهورين .. دهشين بل حائرين من حيوية هذا العقل الذي استطاع في فترات متفاوتة الزمن ان يخلق ويبدع في شتى ميادين الحياة والفكر وان تظل اثار عبقريته حية جديدة ذات الوان وتزاويق لا تمحوها الايام مهما تقادم عليها الزمن » .

غير منكور ان الكيالي طويل الباع والذراع في الابحاث الادبية الاخذة بتحليل الظروف الموضوعية والمفهومات السائدة المؤثرة فيها والمتأثرة بها ، وفي دراسة البناة الهداة من الشخصيات .

تمثلت هذه الظاهرة على نحو اوضح في كتبه « الادب العربي المعاصر في سوريا » و « والادب والقومية في سورية » و « الحركة الادبية في حلب » ..

لا جرم ان هذه الكتب ذات دلالة ...

حيث تفصح عن طاقة الكيالي الغزيرة في عالم البحث ، وعن ايمانه بالقومية العربية ، وعن نظرته النافذة في طيات الغد ، هذا الذي يدعونا باصرار ـ حتى يتحقق وجوده ـ الى العلم والعمل .. السير والانطلاق .. ايثار الحرية لا التبعية .

على ان كتابا ك « الادب العربي المعاصر في سورية » يؤرخ لمئة عام ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠ من كل الوجهات ليس بالعمل الهين . قال عنه الدكتور طه حسين : « هذا كتاب اقل ما يمكن ان اقول فيه أنه رائع كل الروعة ، ممتع احسن الامتاع » .

الى جانب هذا الرأي رأيان آخران ولكنهما مختلفان ..

لئن ذكر شفيق جبري « لقد اعطى الاستاذ سامي الكيالي اكثر رجاله ما يستحقون فلم يبخسهم اشياءهم .. » .. فان الدكتور زكي المحاسني خاطب الكيالي بالحرف الواحد : « يا اخي الفاضل انت تصنع ( كتالوغا ) لا كتابا او سجلا ادبيا .. » .

---

١ ـ انظر كتابنا ( مصطفى جواد ) : فيلسوف اللغة العربية : ص ١٤٠ ـ ١٤١

٢ ـ انظر العدد ٩ السنة ١٤ تشرين الثاني ١٩٧١

مهما يكن من شيء فان الكتاب في الوقت الذي ينم على المشقة التي عاناها الكيالي في جمع مواده المشتتة فانه يشير الى البراعة الفائقة في تنسيق تلك المواد وعرضها باسلوب شائق وتدرج منطقي .

اما كتابه « الادب والقومية في سورية » فتعبير غير مباشر عن الميراث الحضاري الذي آمن به الكيالي ودعوة الى الحفاظ عليه من غدرات المقادير . أليس هو يكشف رسالة العربي للاجيال القابلة ..؟

ولكن مضمون الكتاب اشمل من عنوانه في الدلالة ....

فالادب والقومية هو احدى الدعامتين اللتين ارتكز عليهما الكيالي في بحثه الموسع المتشعب ، وفيه ارخ للادب السوري منذ بدء النهضة وترجم لرواده الحاملين الوية التجدد والتشوف ثم انعطف الى قضية القومية العربية محللا مضموناتها ومنطلقاتها والمراحل التي مرت بها .

تتقدم هذا كله دراسة تاريخية .. جغرافية مفصلة عن سوريا عبر العصور وتتضمن التعريج على الاحوال السياسية والاجتماعية والثقافية وعلى العوامل التي قوضت الامبراطورية العثمانية وساعدت على ظهور تباشير الوعي العربي .

لا نعتقد ان هناك كتابا تناول الحركة الادبية بحلب كما تناوله كتاب الكيالي . فانه من الشمول والاستيعاب في شيء .. درس تاريخ حلب وخصائصها البيئية والثقافية والصناعية منذ مطلع القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . ثم طفق يتدرج ويتوسع في البحث، فطرق الادب في هذه المدينة في تطوره وتجدده كما درس شخصياته التي تمكنت من ان تلعب ادوارها في المضامير المتاحة لها كجبرائيل الدلال وعبد الرحمان الكواكبي وابي الهدى الصيادي .

علاوة على ذلك عالج الكيالي الادب الحلبي في صراعه بين القديم والجديد ومبلغ قدرته على التفاعل بالتيارات المعاصرة ثم ظهور اقطابه الذين عرفوا كمجددين او محافظين ..

وجنح الكيالي في اخريات عمره الى التراثيات فاولاها بعض عنايته لاحيائها توطيدا لجهود زملائه الباحثين المحققين ومساهمة منه .. وقد صدر له كتاب ـ وهو اخر ما اخرجه « مخطوطات حلب » ، لم يتسن لنا الاطلاع عليه بعد .

الاعظمية ـ بغداد ... وحيد الدين بهاء الدين

# مشهد من مسرحية مصرع غرناطة

موسى بن ابي غسان الى نعيم بن رضوان ومحمد بن زائدة :

( القوط ) في سعة العباب — تقاطروا دون الحمى
عصفوا بمسنون الحديد — على المعاقل والربى
واستوقدوا الاسياف — فاتقدت صفائحها لظى
تجد الفتى يرد الوغى — وكانه ليث الشرى
يسعى الى غمر الردى — ليصيب مجدا او غنى
ويرى المنايا للعلى — سببا لمن رام العلى
وبنو أبي كانوا النعام — عن الحقيقة في عمى

نعيم بن رضوان :

ماذا تشير وهل هناك — على المصيبة من رجاء
أين الدواء وما لداء — الروح يرجى من دواء

موسى :

ان صح في النفس اليقين — فكل صعب يسهل
والنصر من ثمر الارادة — وحدها لو نعقل
تسمو المواهب قدر ما — تسمو النفوس ، وتكمل
درب الحقيقة دوننا — فعلام لا نتعجل
والحق في حد الظبا — صرح أشم ومعقل



يلتفت الى نعيم مكملا قوله :

ان الذي في داره — يغزى يهان ويخذل
أبغي رجالا لاتهاب — من المنون وتجفل
اني أريد سواعدا — بناءة لا تكسل
وضمائرا بلظى العزيمة — كالشواقب تشعل
خل الشيوخ فليس عبء — السن امرا يحمل
ان الشباب غد يشع — بشاقب لا يأفل

ينظر موسى الى محمد ونعيم ويقول بصوت متهدج :

نظم العدو صفوفه — صفا وجاء موحدا
والعرب في ليل العمى — يتخبطون بلا هدى
يتناحرون وكيدهم — ما بينهم بلغ المدى
يتشاحنون ، وكلهم — غرض المنون ، على سدى
وكانهم في بغيهم — كانوا على الوطن العدى

دمشق — عدنان مردم بك

عيناه شعلتان من اللهفة والترقب فها هي ذي اللحظة الحاسمة قد قربت وما هي الا دقائق حتى يقابل الرجل وجها لوجه .

كانت السيارة جميلة كأنها لم تركب بعد ، نظيفة كعروس ، وكانت عجلاتها ذات الزنانير العريضة رابضة على ارض الشارع في شيء من الذل لم تعتمد عليه ، فقد لفظت احداها ما في جوفها من هواء فأفسدت الوقفة المختالة الشبيهة بوقفة مهر .

انتظر ايها الوغد حتى يخرج اليك قل له : المسامير .. المسامير. وقص عليه القصة من أولها .

وغرق وجهه في لمعة صفيح السيارة .

كان حمل مسمارا مدبب الراس، وسار به الى منتصف الطريق . الوقت غروب ، والشمس تأكل نفسها بشهية ، والناس قلة في هذا الشارع الجانبي . انحنى ، وهو يذكر ذلك جيدا الان ، ووضع المسمار على الاسفلت ، وراح يتأمل ظله الباهت وخيل اليه انه يسمع جرس المدرسة القديم ، واصوات التلاميذ الصغار وهم يتلعثمون : ماما . بابا . وبدا المسمار القزم كحرف الف اجاد تلميذ في كتابته على السبورة ، وتطلع يمنة ويسرة فلم يجد من يعبأ به .

ابتسم ابتسامة شاحبة كأنها اشعة الشمس المحتضرة ، وتسلل عائدا الى الرصيف كأنه لم يفعل شيئا .

كان جائعا . بعد قليل ستأكل حتى وان كنت لا تملك قرشا واحدا ستأكل ايها الوغد . عليك ان تنجز عملك .

مد يده الى جيبه واحصى المسامير . واحد . اثنان . ثلاثة . اربعة .. واخرج اكثرها طولا وسار به الى سيارة جميلة كأنها لم تركب بعد ، نظيفة كعروس ، فوضع المسمار على احدى عجلاتها ذات الزنانير البيضاء ودقه بحجر ، ثم ولى هاربا ، جارا وراءه ظلا من الأسف المكبوت .

كانت قدماه تقودانه في شوارع يعرفها حق المعرفة . وكان حزينا هذا الغروب . أيها الوغد ، ايها الوغد .. فيم المكابرة ؟ انت دون مهنة وستظل جائعا الى الابد . مهنتك هذه لا تشبه مهنة اخرى في العالم كله . لماذا لم تصبح طبيبا كما تمنت أمك لتعالجها من الروماتيزم المزمن المعشش في ساقيها ؟ لماذا لم ترث عن ابيك مهنته ، تحمل على ظهرك الصناديق الحديدية وتمضي من مكان الى مكان ؟ لماذا جرفتك وانت على مقعد الدراسة في الابتدائية لوثة للولع بالسيارات ؟




**بقلم عادل ابو شنب**

لماذا أصبحت رجلا يبحث عن لقمته وهو في السابعة ؟

في المساء والحادثة ماثلة في عينيه . كأنها وقعت قبل دقيقة واحدة استقبله ابو حاتم بتقطيبته . سلم وجلس .

قال الرجل الضخم الممتلئة بطنه بالماء والغازات :

— حتى الساعة لم يمر بدكاني دولاب مثقوب .

قال له :

— .. مع انني وزعت المسامير




كما ينبغي .

قال الرجل الضخم وهو يزفر :

— لو انك وزعتها كما ينبغي لنالني اليوم دولاب او اثنان على الاقل .

قال :

— ما من سيارة .. ما من شارع .. حتى السيارة الجميلة ذات العجلات البيضاء دققت مسمارا في ...

وقاطعه ابو حاتم مستنكرا بصوت بدا كأنه صفير قطار شحن :

— خسرتني ثمن المسامير . انا اعطيك ويستفيد الاخرون ..

وقال له في نزق :

— وما ذنبي انا ؟

وكأنما ايقظ هذا التساؤل حنق الرجل الضخم ، فاذا به يصيح كالمجنون :

— ما ذنبك ؟ اتركني وامض . انت لا تصلح لهذا العمل .

واستكان فلم يقل كلمة واحدة . كان قد الف تذمر الرجل البدين لكنه فوجىء هذه المرة باللهجة الحاسمة التي خاطبه بها . يستحيل عليه اذا ان يطلب قرشا او رغيفا ، ليتك لم ترفض العمل في الدكان يومئذ . استسهلت ايها الوغد حمل المسامير الملعونة والطواف بها على الشوارع والسيارات .

اعتقدت انها اقل المهن جهدا ، فاذا بكتفيك تنوءان وقلبك لا يقوى.

وحمل جسده ومضى . لم يكن في جعبته سوى حزنه ، وشيء من الندم على العجلة التي اغرز فيها مسمارا بضربة حجر . كان يحب هذه السيارة ، ويحلم ، اذا ما وضع رأسه على مخدة في الليل ، بأنها سيارته ، يقودها كما يفعل ابطال السينما ، وها قد ثقب الحلم بنفسه وبمسمار من مساميره ، وعاش كابوسا مزعجا بعد ذلك . المسامير تملأ الشوارع . تنبت على الاسفلت كأنها سنابل قمح . السيارات تمضي في سرعات

جنونية . يكاد ان يسمع صوت هشيم السنابل . يكاد ان يرى القامات الشابة ، وهي تتقصف وتهرس العجلات تجري دون مبالاة كجيش اقدام يغزو حقلا متخما بالرزق .

اغتم اكثر واكثر وقتئذ . شعر ان قلبه يهتز في صدره ، يختلج كموتور سيارة مريضة . لتمت مسامير العالم لتعش عجلات السيارات ، لتمتلىء كرش ابي حاتم بالماء والغازات .. والحنق ، حتى وان جاع لن يحمل بعد الساعة مسمارا واحدا . انك لست مجرما ايها الوغد ، لست مجرما وقلبك ما يزال يبتسم .

واحتلت العتمة الشوارع ، ونال التعب منه ، ولم يجد مكانا يذهب اليه الا دكان ابي هادي المسلاتي القريبة .

كان المسلاتي يعمل ، بصعوبة ، في عجلة مثقوبة ، وكان لشهيقه وزفيره صوت مسموع . وتمنى ان ينتبه اليه فيساعده ، لكنه اكمل العمل كله وحده ، وهو واقف يتطلع نحوه في مودة مصطنعة بدت وكأنها استغاثة خامدة .

وراه فجاة فهش له بحذر :

ــ تعال . خذ . اشتر لي رغيفا وبيضتين . لم اتغد بعد .

وركض على شفتيه . اشترى وعاد واكل المسلاتي دون ان يقول له كلمة واحدة بعدئذ . كان ينظر فحسب اليه حينا ، والى العجلة المثقوبة حينا آخر . وكان لاضراسه وهي تهرس الخبز والبيض المخلوط بالفلفل صوت صاخب ، خيل اليه انه يشبه صوت حجر الطاحون .

أيها الوغد . ايها الوغد الخجل لماذا لم تقل له انك جوعان ؟ لماذا لا تقول : اريد ان آكل . اريد ان اعمل . بنظرات متحجرة ادرت معه حديثا لا يفهمه ايها الوغد .. قل .. قل ..

ودبت فيه الشجاعة اذ ادار المسلاتي ظهره وانحنى على العجلة :

ــ اريد ان اعمل ..

قال المسلاتي :

ــ لا استطيع ان استأجر احدا . انا لا اربح في اليوم الكثير . ننتظر الرزق من ثقوب العجلات وهي تضن به علينا يوما بعد يوم .

قال :

ــ ارجوك . اريد ان اعمل لآكل ..

ــ قال المسلاتي :

ــ جوعان ؟ خذ ..

ومد يده ببضعة فرنكات ، جعلها قرب عينيه وراح يغمغم :

ــ اعرفك . لو كنت تملك صبرا لعملت في دكان ابي حاتم .

قال في توسل :

ــ لو انك تعرف كيف يعاملني ..

قال المسلاتي :

ــ اعرف . أعرف . بصراحة انا لا اريدك في دكاني . خذ وانصرف .

ولم يأخذ شيئا . شعر انه مهان مدان . ولعدة ثوان .. لم يدر في ذهنه اي حديث ، تصور ، فحسب ، ان عناقيد المسامير الملعونة تتدلى من أشجار عالية . كأنها ثمار يانعة ، لا تقطف بسهولة . وهم بأن يعترف للمسلاتي بكل شيء ، واية مهمة كان يؤديها لابي حاتم ، الا انه لم يفعل . لقد كانت عيناه تدمعان وصوته بعيدا جدا عن حنجرته .

وفي الطريق راح يوزع احزانه على اعضاء جسده . شعر ، مرة ، انه لا يرى جيدا ، وشعر مرة ، انه ممعود ، واحس بالغثيان ، وبانه مصاب كأمه بالروماتيزم ، لكنه كان متفتح الذهن ، يقلب افكاره على نار متقدة في راسه . لو انك تعلمت ايها الوغد ، لو انك تعلمت لطردت الفقر لكنت الآن شيئا آخر ، معلما مرموقا في اضعف الايمان . لو انك التحقت بمهنة .. لكنت الآن واحدا من اربابها . لو كنت غنيا .. انت الان مسمار صدىء لا يقدر على الغوص في قطعة خشب . المكان الوحيد الذي يستطيع المسمار ان يخترقه هو قلبك .

ونهض الحزن الى راسه ليتقلب كاللحم المشوي ، على النار المتقدة هناك ، واحس بالمرارة ، وبانه لن يستطيع ان ينام او يشبع ، او يشعر بشيء من الطمأنينة ان لم يمض الى السيارة الجميلة التي اغرز المسمار في عجلتها ذات الزنار الابيض ، فيقف امامها ، وينتظر صاحبها ليقول له كل شيء أي شيء .

كان الليل قد استراح في المدينة وكانت عيناه اللهفتان .. النجمتين الوحيدتين في ذلك الشارع ، وكانت السيارة الكسيحة ، امامه ، تؤجج النار التي تتبختر في عروقه . وما هي الالحظات حتى جاء رجل ، فأخرج مفتاح السيارة من جيبه .

وبرز اليه .

كانت الشجاعة مزدهرة على رأس لسانه .

ــ لا تتعب نفسك . لن تسير . العجلة مثقوبة بمسمار .

وبهت الرجل ، كان سمينا اصلع الرأس ، له عينان صغيرتان مستديرتان كأنهما عينا بومة وزمجر .

ــ ماذا تقول ؟

رد بهدوء :

ــ العجلة مثقوبة بمسمار .

وصرخ الرجل وهو يهرع الى العجلة .

ــ وكيف حدث ذلك ؟ من انت ؟

وقال في هدوء مرسوم :

ــ سأشرح لك كل شيء .

كان كل ما يشعر به ان لسانه يتحرك . صحيح ان النار المتقدة في ذهنه قد بدأت تبرد ، لكنه كان في شبه اغماءة . الكلمات وحدها ذات حيوية ، وعينا البومة المدربتان على النظر في نقمة .. تحدقان اليه في ذعر وعدم تصديق . ماذا يهمه الان ؟ حسبه ان ابا حاتم اصبح

# سماح

ارفعي الظن عـــن الخل الامين     وارحميني مـــن تباريح الحنين
لم أزل كالعهد في دنيـــا الهوى     غــير ان الشك يودي باليقــين
وقديما قـال قـوم سبقــوا :     جوهر الـــود وان صح ظنـــين
قسما مـــا الحب الا مـــا أرى     مـــن خديـن يتفانـى في خدين
لـو بنى أهــل الهوى هيكلهـم     فأنـــا فيهـم امـــام العاشقين

ارفعي مـا بيننـا مـن حجـب     وانثري البسمات كالـدر الثمين
واقبلي كالشمس في رأد الضحى     وهي تسبى في الاصيل الناظرين
ليس لي مـن مطمع فيـك سوى     صفحك الغالي عـن القلب الامين
وسماح القلب في عيـد النـدى     كضياء البـــدر يهـدي التائهين
فاذا الدنيـــا سنـا في ناظـري     واذا انعمهـــا عـــز مكـــين

لا ترومي غـير حبـي مؤنسا     انمـا حبـي شراع للسفـــين
انـــه يحـوى افانـين الهـوى     لا تردي صدق قلـب لا يمـــين
لا تضنـــي فالنـوى اسقمني     وحنيني فوق مـــا قد تحسبين
ان أكـن صرت اماما في الهوى     فانـا في الهجــر أشقى المتقين

القاهـرة     احمد عبد المجيد



عاريا ليس امامه وحـده فحسب ، وانما امام الاخرين ، امـــام واحد منهم ، والبقية تأتي .

امسك الرجل البومـــة بقميصه المتسخ :

ـ وتعترف بوقاحة . لن اتركك سأسوقك الى السجن .

وشعر باللطمة فورا . هاك مـــا فعلته يداك ايها الوغد لـــم تتوقع نتيجة كهذه . زرعت نبتـة في قلب غير ملائم ، لا يستطيع ان يفهمك . اعماك حقدك .

وسار به الرجل . كـان يمسكه بيده مسكة شرطي مدرب . لم يكن خائفا او حانقا عليـــه . لكنه كان يشعر بان هـــذا الاصلع التالق .. من عالم اخر يجهله من قبل . لشد ما يكره الان السيارة التي كان أحبها وحلم بها . ولا يدري لماذا تجسدت صورة ابي حاتم امام عينيه ، مـــن بين مئـــات الصور التـــي تتالـى تجسدها اثناء مشيته مع الرجل .

بدا وجه ابي حاتم ، هذه اللحظة ، اليفا ، وكرشه الكبيرة الملأى بالمـاء والغازات.. مستودعا لطيبة مغمورة ببركام مـــن القسوة ذات الزبـد ، والكلمات الضخمة التي تتبدد فـي الهواء ساعة انفلاتها من بين اسنانه الصفراء التي أكلها القلح والدخـان المليء بالنيكوتين .

لم يقل كلمة واحدة كان الرجـل وحده يزمجر كامرأة حامـل توشك ان تضع :

ـ كلكم على هذه الشاكلة ارذال منحطون .

وارتفع دم الغضب الى عينيه . ارذال . منحطون . اوغـاد ايضا . ليقل هذا الاصلع مـــا يقوله . ان مسكته هـذه ومشيته وزمجرتـــه ووعيده .. قـــد وضعت بينهمـا الحاجز الذي حاول لمـرة يتيمة ان يحطمه .

على حين غرة ، شد يده من يـد الرجل بحركـــة متوقعة فأصبـح حرا . وتحركت ساقـاه في قـــوة وعصبية لم يعهدهما فيه من قبل . انه الان كعضفور معافى من مرض ، يطير عائدا الى عشه القديم . انـج بنفسك ، وامض بسرعة الى دكـان أبي حاتم . قد تراه متجهما ، قـد يسبك ، قد يعطيك وقد لا يعطيك ، لكنك ستشعر بطمأنينة وخدر العائد الى بيته ، لا تقل له شيئا . ابتسم واطلب المسامير فقط .. المسامـير فقط ايها الوغد .

دمشق     عادل ابو شنب



محمد العدناني

# معجم الاخطاء الشائعة

## حول معجم الاخطاء الشائعة

مهداة الى الناقد المجهول

بقلم محمد العدناني

***

بعدما نشرت مقدمة « معجم الاخطاء الشائعة » في عدد أيلول ( سبتمبر ) ١٩٧١ ، راح احد الادباء المجهولين ، يرسل الهاتف تلو الآخر الى رئيس دائرة المعاجم التابعة لمكتبة لبنان ، منتقداً استعمالي :

١ ـ الفعل ( صمد ) في العبارة الآتية : « وهيهات ان يستطيع خصوم العرب النيل من ضادنا ، التي صمدت في وجه عواصف القرون الوسطى وعصر الانحطاط » .

٢ ـ وقولي : « لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر » . قائلا ( الناقد ) ان الصواب هو : « سواء أطال الطريق ام قصر » .

٣ ـ ومخطئا قولي : « اشكر للقراء التشجيع الذي لقيته منهم في شتى اقطار العالم العربي ، من محيطه الى خليجه » . قائلا ان ( شتى ) يجب ان لا تستعمل مضافة .

انني اشكر للاستاذ الناقد غيرته على اللغة العربية ، واتاحته لي الفرصة للبحث في هذه المواد الثلاث ، وفي رأي ابن جني السديد في حروف الجر واستعمالها ، وضمها الى « معجم الاخطاء الشائعة » .

واعتب على الاستاذ ، لانه لم تكن له الجراة ليكشف اللثام عن هويته ، التي شاء ان يقبع بها وراء ستار حديدي ، ولانه يسلك طريقا من الهمز واللمز لا يحسد عليها ، بدلا من ان يرفع اللثام عن نفسه ، وينزل الى ساحة النقد ، مزودا بسلاح الادب والجراة والخلق الرفيع ، وقائلا :

أنا ابن جلا ، ونقاد البرايا     متى اكشف لثامي تعرفوني

لم أشأ الرد فورا على الناقد المجهول ، لئلا يظن انني ارمي من وراء ذلك الى اقناع السيدين الفاضلين خليل وجورج الصائغ ، صاحبي مكتبة لبنان ، بصواب رأيي وخطأ الناقد . واخرت الاديب المجهول الى ان وقعت عقد النشر ، وبوشر بطبع المعجم .

والى الناقد المجهول ، وأخي في العروبة ، الذي كنت اود ان ينتقدني على صفحات « مجلة الاديب » الغراء ، مذيلا نقده باسمه الحقيقي ، اقول :

١ ـ قد تستند الى القرآن الكريم ، وتقول انه استعمل الفعل ( ثبت ) مع مشتقاته ثماني عشرة مرة ، ولم يستعمل الفعل ( صمد ) مرة واحدة .

٢ ـ والى قول ابن السكيت في باب « القصد والاعتماد » من كتابه ( الالفاظ ) : صمد له : قصد له .

٣ ـ ثم قول الصحاح : صمده يصمده صمدا : قصده .

٤ ـ فقول المحكم ، ٥ ـ فمفردات الراغب ، ٦ ـ فمقامات الحريري ، ٧ ـ فاساس الزمخشري ، ٨ ـ فمغرب المطرزي ، ٩ ـ فقاموس الفيروزأبادي ، ١٠ ـ فمحيط المحيط ، ١١ ـ فمد القاموس ، ١٢ ـ فمتن اللغة . وجميعها تذكر اما ( صمده ) ، او ( صمد له ) ، او ( صمد اليه ) ، او تذكر بعضها ، او كلها ، وتقول ان معناها هو: قصده ، او قصد له ، او وقف ازاءه .

١٣ ـ ثم جاء الدكتور مصطفى جواد ، فذكر في الجزء الاول من كتابه « قل ولا تقل » ان استعمال ( صمد له ) بمعنى : ثبت ، هو خطأ ، وان الصواب هو : ثبت له ، وان مصدر ( صمد ) هو الصمد ( بفتح فسكون ) ، لا الصمود ، وايد رايه بالبراهين الآتية :

أ ـ ان صمد ( بفتح ففتح ) هو فعل تحرك وسير ومشي الى امام ، ولا يجوز اطلاق فعل من افعال الحركة ، ولا اسم من اسمائها على السكون والوقوف واللبث .

ب ـ قال مختار الصحاح : « الصمد ( بفتح ففتح ) : السيد ، لانه يصمد ( بضم فسكون ) اليه في الحوائج ، اي : يقصد ، يقال : صمده يصمده ، أي : قصده » .

ج ـ استشهد بقول ابن فارس في كتابه ( مقاييس اللغة ) : « الصاد والميم والدال اصلان : احدهما القصد ، والآخر الصلابة في الشيء » .

د ـ قال الزمخشري في كتابه ( الفائق ) ، في قصة بدر ، عن معاذ بن عمرو الجموح انه قال : « نظرت الى ابي جهل في مثل الحرجة ( الشجر الملتف ) ، فصمدت له ، حتى اذا امكنتني منه غرة ، حملت عليه » . قال الزمخشري : « الصمد : القصد » .

هـ ـ استشهد بحديث المقداد : « ما رأيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) صلى الى عود او عمود الا جعله على حاجبه الايمن ، او الايسر ، ولا يصمد له صمدا ، أي : لا يقابله مستويا مستقيما ، بل كان يميل عنه » . في الكتاب : يميل منه .

و ـ استشهد بما جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري : « وبعث الى علي بالفتح والسبي ، ثم صمد لبنات كسرى ، فنزلن على امان » .

ز ـ استشهد بقول الصحابي حنظلة الكاتب لعلي بن ابي طالب ( رضي الله عنهما ) : « اشخص الى الرها ، اصمد له حتى ينقضي هذا الامر » .

ح ـ استشهد بعبارة جاءت في كتاب صفين ايضا : « وصمم ابن بديل على قتل معاوية ، وجعل يطلب موقفه ، ويصمد نحوه ، حتى

انتهى الى عبد الله بن عامر واقفا ».

ط ـ ثم استشهد الدكتور مصطفى جواد بجمل قالها البلاذري في حصار مسلم بن عقبة المدينة المنورة ، ومعقل بن قيس الرياحي في كتاب بعث به الى الامام علي ( رضي الله عنه ) ، وزياد بن خصفة في كتاب بعث به الى الامام ايضا ، وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص يحث على القتال ، واستشهد بامر مروان لحبيش بن دلجة القيني ، وقول المبرد في الكامل عن ابي بكر حين انتضى السيف ، وصمد نحو احدهم ، وقول الطبري عن عمرو بن العاص حين صمد الى الارطبون ، وقول الواقدي في اخبار بدر ، حين صمد الامام علي ( رضي الله عنه ) لعبد الله بن المنذر بن ابي رفاعة ، وبما جاء في كتاب عبد الحميد الكاتب الى بعض قادة مروان ، آخر الخلفاء الامويين : « متوكلا على الله فيما صمدت له ، واثقا بنصره ... ثم اصمد لعدوك المتسمي بالاسلام ».

ولا انكر ان جل هذه الشواهد تدل على ان الصمد هو القصد لا الثبات .

ولكن :

١ ـ نحن نستشهد بصحة الكلمات التي وردت في القرآن الكريم ، ولكننا لا نستطيع انكار وجود كلمة في اللغة العربية ، وجدت في احد المعاجم ، او بعضها ، او كلها ، اذا لم تذكر في القرآن الكريم ، لانه ليس معجما مفروضا عليه ان يورد في آياته كل كلمة في لغة الضاد .

٢ ـ ان الفعل ( صمد ) ، الذي قال احد عشر مصدرا لغويا محترما ان معناه ( قصد ) ، والذي استعمله ثلاثة عشر عربيا قديما ( بينهم الصحابي والاديب والمؤلف ) بمعنى ( قصد ) ، لا يعني ان غيرهم لم يستعمله بمعنى ( ثبت ) .

٣ ـ كون الفعل ( صمد ) فعل حركة ، وعدم جواز استعماله فعلا للسكون ، ينقضه ما يأتي :

أ ـ قول ابن فارس نفسه ، الذي استشهد به الدكتور مصطفى جواد ، لانه يقول ان الاصل الثاني للصاد والميم والدال هو الصلابة في الشيء . واين الحركة من الصلابة ؟ وهل تعني الصلابة غير الثبات ؟

ب ـ اذا كان الصمد ( بفتح ففتح ) هو السيد الذي يقصد في الحاجات ، فكيف نجده اذا كان متحركا ؟ وهل للمتحرك مكان خاص به ، يثبت فيه ؟

ج ـ ان ما قاله الزمخشري في ( الفائق ) ، قال ابن الاثير بعده في ( النهاية ) ما يناقضه ( في حديث معاذ بن الجموح في قتل ابي جهل : « فصمدت له حتى امكنتني منه غرة » . اي : ثبت له وقصدته ، وانتظرت غفلته ) .

د ـ يدل حديث المقداد على ان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ثابت في مكانه ، لا يمكنه الانتقال منه ، لانه كان يصلي . والصلاة تفرض على المصلي البقاء في مكان واحد لا يريمه .

٤ ـ استشهد اللسان بتفسير ابن الاثير ، دون ابداء اي شك في صحته .

٥ ـ جاء في اللسان ايضا : « وفي حديث علي : فصمدا صمدا حتى يتجلى لكم عمود الحق » .

٦ ـ ثم قال اللسان : «اصمد (بفتح فسكونففتح) اليه الامر ( بفتح الراء ) اسنده » . والمفروض في المسند اليه ان يكون ثابتا .

٧ ـ قال ابن الاعرابي : « الصماد سداد القارورة » . وسداد القارورة فائدته في ثباته مكانه ، لانه اذا زحزح عنه اصبح بلا فائدة .

٨ ـ وقال ابو عمرو : « الصمد ( بفتح الميم ) من الرجال : الذي لا يعطش ولا يجوع في الحرب » . وفي هذا نوع من انواع الصبر والثبات على العطش والجوع .

٩ ـ استشهد التاج بتفسير ابن الاثير ، دون ان يبدي اي شك في صحته ، وهو الذي عودنا ان لا يحجم عن ذكر اي شيء شك فيه .

١٠ ـ ويقول التاج : « الصمد ( بفتح فسكون ) : المكان المرتفع الغليظ من الارض ، لا يبلغ ان يكون جبلا » . وهذا ثابت مكانه طبعا .

١١ ـ والصمدة او الصمدة ( بفتح الصاد وضمها وتسكين الميم ) . صخرة راسية في الارض . من يحركها ؟

١٢ ـ والصماد : ما يلفه الانسان على رأسه من خرقة ، او منديل ، او ثوب ( دون العمامة ) . والصماد لا يظل مكانه الا اذا ثبت على الرأس .

١٣ ـ والصمود ( بفتح الصاد ) : اسم صنم كان لعاد . ونحن اذا اردنا ان نصف انسانا بالجمود وعدم الحركة ، قلنا : وقف كالصنم .

١٤ ـ الناقة المصماد : الباقية على القر والجدب . وهل تعني كلمة ( باقية ) هنا الا ( ثابتة ) .

١٥ ـ وقال الصاغاني : « المصمد ( بتضعيف الميم وفتحها ) : هو الشيء الصلب الذي ليس فيه خور » . وهل نجد الصلابة في الثبات أم في الحركة ؟

١٦ ـ قال دوزي في المجلد الاول من « مستدرك المعاجم » : « الصمودية : الصلابة . صامد : ثابت صلب » . فاذا كان الصامد هو الثابت ، فلا بد ان يكون اسم الفاعل ( الصامد ) قد اتى من الفعل ( صمد ) ، الذي لم تذكره جل المعاجم ، كما اتى اسم الفاعل ( الثابت ) من الفعل ( ثبت ) .

١٧ ـ قال المعجم الوسيط الذي اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة : « صمد يصمد صمدا ( بفتح فسكون ) وصمودا ( بضم الصاد ) : ثبت واستمر » . ومنه قول الامام علي : « صمدا صمدا حتى يتجلى لكم عمود الحق » : ثباتا ثباتا .

هذه البراهين الكثيرة ، وبينها ما جاء في اللسان والتاج الخالدين ، تجعلنا نؤيد :

أ ـ استعمال ( صمد ) بمعنى ( قصد ) .

ب ـ واستعمال ( صمد ) بمعنى ( ثبت ) .

ج ـ والاكتفاء باستعمال المصدر صمد ( بفتح فسكون ) ، الى ان تصدر الطبعة المزيدة المنقحة من « المعجم الوسيط » ، في نهاية هذا العام ، ثم ظهور الاجزاء الاخرى من « المعجم الكبير » ، الذي يصدره مجمع القاهرة ايضا ، لان « المعجم الوسيط » هو المعجم الوحيد ، الذي ذكر المصدر ( صمود ) .

اما تخطئة الناقد المحترم قولي : « لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر » . وقوله ان الصواب هو : « سواء أطال الطريق ام قصر » . فانني ارد عليه بما يأتي :

ربما استند الناقد الفاضل الى قوله تعالى في الآية ١٩٣ من سورة الاعراف : « سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون » ، والى ورود ( سواء ) متلوة ب ( الهمزة ) و ( ام ) ست مرات اخرى في القرآن الكريم .

ولكن :

١ ـ جاء في « النحو الوافي » : « يصح في الاسلوب المشتمل على ( أم ) المتصلة الاستغناء عن الهمزة بنوعيها ( همزة التسوية وهمزة التعيين ) ، ان علم امرها ، ولم يوقع حذفها في لبس . فمثال حذف همزة التسوية : « سواء على الشريف راقبه الناس أم لم يراقبوه ، فلن يرتكب اثما ، ولن يقع في محظور » .

٢ ـ اما مثال حذف همزة التعيين ، فقول الشاعر عمر بن ابي ربيعة :

بدا لي منها معصم حين جمرت    وكف خضيب زينت ببنان

فوالله ما ادري ، وان كنت داريا    بسبع رميت الجمر ، ام بثمان

يريد : أبسبع أم بثمان . ( التجمير : رمي الحصى ، وهو من مناسك الحج ) .

٣ ـ يقول ابن مالك ( في الفيته ) في حذف الهمزة :

## ذكرى

أواه من جمر الجوى أواه
ما كان خاصمني الكرى لولاه
جفنان ما طعما مناما .. الهوى
أذكى اوارهما السهى .. والآه
عيناك عالقتان في نجم السما
تسترجعان النجم في مسراه
يا ليل .. والاصفاد قدت من دمي
جرحا تنز على الرياح دماه
شفتان ضارعتان .. ما أعتى الهوى
جف التوسل .. وانطوت شفتاه
اني لابصرها خيالا شاردا
ألقي تيتمه .. ولا ألقاه
ما ان تمر بي الصبابة مرة
الا ويعقب كأسها شكواه
ويلي على حب يكاد يزفني
من فوق نعش ناحب .. ويلاه
الحب .. أين الحب في طيف قضى
ومضى .. وخلف للحشى أصداه
يا دعد ، ملء دمي وملء فمي هوى
يجتاحني .. وتهزني ذكراه

سعد البواردي

وربما اسقطت الهمزة ان كان خفا المعنى بحذفها امن

بناء الفعلين ( اسقط ) و ( أمن ) للمجهول . ( اسقطت : حذفت ) . يريد : قد تحذف الهمزة بشرط ان لا يؤدي حذفها لخفاء المعنى ، والوقوع في اللبس .

٤ ـ تحذف الهمزة اذا كانت ( أم ) ، التي تأتي بعدها ، منقطعة تفيد الاضراب ، مثل ( بل ) . كقوله تعالى في الآيتين ٢ و٣ من سورة السجدة : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه » . وقد جاء في تفسير الجلالين : « تنزيل القرآن لا شك فيه من رب العالمين ، بل يقولون افتراه محمد » .

٥ ـ قال الاخطل التغلبي :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ؟

أي : أكذبتك عينك ؟

٦ ـ قال ساعدة بن جؤية :

يا ليت شعري، ولا منجى من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم؟

وفي رواية اخرى : ألا منجى ، وعليه تكون ( أم ) متصلة لا منقطعة .

لذا يحق لنا ان نقول :

أ ـ لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر .

ب ـ لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، سواء أطال الطريق ام قصر .

وانا اوثر ان نستعمل اولى الجملتين ، لانها اكثر اختصارا ، ولا يوقع حذف الهمزة فيها في لبس .

اما جواز اضافة ( شتى ) ، فالى الناقد المجهول رأيي :

ربما اعتمد الاستاذ الملثم على :

١ ـ قوله تعالى في الآية ٥٣ من سورة طه : « وانزل من السماء ماء ، فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى » . وقد جاء في تفسير الجلالين : « شتى : جمع شتيت ، من شت الامر : تفرق » .

وفي الآية ١٤ من سوة الحشر : « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .

وفي الآية ٤ من سورة الليل : « ان سعيكم لشتى » أي : مختلف .

٢ ـ وعلى الحديث : « يهلكون مهلكا واحدا ، ويصدرون مصادر شتى » . أي : متفرقة . وعلى حديث اخر عن الانبياء : « وامهاتهم شتى » . أي : دينهم واحد ، وشرائعهم مختلفة . وقيل : أراد اختلاف ازمانهم .

٣ ـ وعلى المعاجم ، ومنها الصحاح الذي قال : « قوم شتى ، واشياء شتى » . وقد شرحها التاج ، فقال : « قوم شتى : متفرقون. قيل انه جمع شتيت كمرضى ومريض ، وقيل مفرد » .

ولكن :

أ ـ ورود كلمة ( شتى ) في القرآن الكريم والحديث الشريف غير مضافة ، لا يعني انها لا تأتي مضافة ، او انها يجب ان لا تأتي مضافة، لانهما ليسا معجمين ، ولا كتابي نحو ليستوعبا كل كلمات اللغة العربية وقواعدها .

ب ـ لم يفرض أئمة النحو علينا ان نعرب ( شتى ) حالا دائما ، وغير مضافة ، كما فعلوا ب ( كافة ) ، ومع ذلك استعمل عمر بن الخطاب ( كافة ) مضافة ، بقوله : « على كافة المسلمين » ، ووافقه على ذلك امام البيان علي بن ابي طالب ، رضي الله عنهما .

ج ـ لم يذكر أي معجم ، ولا أي كتاب نحوي ان ( شتى ) يجب ان لا تضاف . ولو كان ذلك غير جائز لذكره بعضهم ، او جلهم ، ان لم يذكروه جميعا .

د ـ لا تستعمل المعاجم وكتب النحو جميع الجموع في اللغة العربية ، او الكلمات المفردة ، وهي في حالة الاضافة .

هـ ـ لا انكر ان ورود ( شتى ) في اللغة العربية غير مضافة كثير، ولكن هذا لا يحول دون استعمالها مضافة .

و ـ الشاعر الجاهلي المضري الفحل تأبط شرا ( ثابت بن جابر )، الذي قتل سنة ٨٠ قبل الهجرة ، والذي افتتح الضبي مفضلياته بقصيدة له ، مطلعها :

يا عيد مالك من شوق وايراق ومر طيف على الاهوال طراق

جاء في قصيدة له ، مدح بها ابن عمه ، بقوله :

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى ، شتى النوى والمسالك

اراد : مختلف النوى .

ز ـ وقال معاوية : « في الحيس ( طعام من تمر ) طيبات ، جمعن من شتى » . أي : من شتى الاماكن .

ح ـ يقول كثير من المعاجم ان كلمة ( شتى ) هي جمع شتيت ، مثل مريض ومرضى . فلماذا يجوز لنا ان نقول : هم مرضى العقول ، ولا يجوز لنا ان نقول : هم شتى الاهواء ؟

هذه الادلة تجيز لنا ان نقول : ( ١ ) اهواؤهم شتى . ( ٢ ) هم شتى الاهواء .

اما حروف الجر واستعمالها ، فانني ارجو الناقد الفاضل ان يقرأ ما كتبته عن رأي ابن جني والبطليوسي في تلك الحروف في عدد شباط ( فبراير ) ١٩٧٢ من هذه المجلة الرائدة .

وفي الختام اهدي الى الناقد الحيي حبي وشكري وصفحي عما بدر منه ، لان بين قلبي والحقد عداوة حمراء ، راجيا ان يسفر عن نفسه .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

# شقيقي

المرحوم عبد الفتاح عامر بحيري ( اكتوبر ١٩٠٤ مارس ١٩٧٢ ) كان رحمه الله اديبا وشاعرا وعازفا ماهرا على العود

أصديق أنت أم غير صديق    أيها الناعي الذي ينعي شقيقي
او تدري أي زهر ناضر    قطف الموت على غصن وريق
او تدري أي نفس حرة    قد سقاها الخلد من أي رحيق
او تدري أي شمس قد مضى    قرنها الزاهي الى غير شروق
اظلمت من بعدها دنيا الهدى    والاخاء السمح، والود الوثيق
وتراءى الغيب عن آخرة    فجرها بالتبر لماح البريق
انما الدنيا طريق للردى    فانتبه.. انك في اخرى الطريق

يا لقلبي من مصاب فاجع    لذعه كالسم يسري في عروقي
أنا في الستين من عمري ، فما    أصبح الواهي لحمل بمطيق
لا فؤادي يحمل الحزن ، ولا    جسدي يقوى على لذع الحريق
هو صنوي وشقيقي في الصبى    كيف يزكو الروض من غير الشقيق
فرقت ايامنا ما بيننا    تنزع الدر من العقد النسيق
أين في الخرطوم مني نشأة    وهو في المسجد والدرس رفيقى
زاخر النيلين عند الملتقى    دون ما نضمر من ود عميق
وهو من علمني الشعر.. ومن    كان فيه عمدتي.. كابن رشيق
ولقد حملني اثقاله    ومضى يسبح في لحن رقيق
تاركا للعود في اجوائه    نغم العطر ببستان عبيق
حاضر النكتة لا يمنعها    ضاحك السن، على هم وضيق



ما أخي الا أب .. فارقته    لم اجد منه سوى القلب الشفيق
وطني - صادق علمني    طلب العدل ، وايثار الحقوق
أنا في مصر على بعد اللقا    وهو في السودان أهلي، وفريقى
والخطابات توالى بيننا    بالشعور الحي، واللفظ الانيق
كنت أشكو لاعج الحزن له    من سواه اليوم للحزن الدفوق
لا يجف اليوم دمعي ابدا    مزج الخافق دمعي بالعقيق

يا شقيقي ، انت في الحق أنا    وأنا أنت .. بتعبير دقيق
وأنا الميت .. لولا شبح    صارع الموج ضعيفا كالغريق
في رضى الله وفي رحمته    خلق من طيب الاصل عريق
واخاء كلما عاودني    هب نسم من حمى البيت العتيق
كنت في الجيزة ادنى موضعا    من محب، صادق الود، مشوق
غير ان الدهر قد حطمنا    وبرى القيد يد الحر الطليق
ورمى قلبك سهم نافذ    ليس قلبي منه دهرا بمفيق
رن قبل الفجر حولي هاتف    حاملا صوتك من واد سحيق
قال لي : دنياك لهو ، فانتبه    بات نبض القلب معدود الخفوق
وحياة المرء ان حققتها    لعبة ، بين زفير وشهيق

مصر الجديدة    عامر محمد بحيري

# كامل الشناوي جوانب من حياته وفكره

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

عرفت ( الشناوي ) في شعره ونثره واعجبت به وواظبت على قراءته وجمع ما كان يكتبه من يوميات تحدث فيها كثيرا عن نفسه ... كل ما كتبه الشناوي جميل وعميق، فقد صور خلجات نفسه بعبارة نابضة تحس فيها بانفاسه الحارة ، كلماته حية لها نبض وروح ، تتحرك وتنطق ، وتسمعك اعمق اعماق قلبه وفكره . كانت الكلمة زاده في الحياة ، وصديقه الوفي ، يلجأ اليها اذا غدر به صديق ، او اعرض عنه حبيب ، او حيره وجوده .

كان الشناوي انسانا حي الوجدان ، وفنانا مفتوح العين والحس والضمير ، لذا نجد في كل ما كتبه مادة انسانية وفنية ... عاش حياته بطريقته الخاصة واسلوبه الخاص ، وعبر عنها بصدق وعمق ، عبر عن فرحه وحزنه وآلامه وتأملاته وحيرته . عبر عن كل شيء بصدق وامانة ونقل لنا ما في اعماق قلبه وفكره صراحة لا تلميحا .

كانت كلماته قوية موحية ، يعيش فيها القارىء بروحه وحسه وتستحوذ على كل تفكيره ومشاعره ، وقد حدثنا الشناوي عن سر قوة الكلمة وتأثيرها في قوله : « ليس هذا السر في البناء اللفظي النابض بالموسيقى ورشاقة التعبير ، فالكلمة النابضة الرشيقة تبهرنا بجمالها ولكنها لا تؤثر فينا ، اما الكلمة المؤثرة فهي تلك التي تنبع من متكلم يستطيع ان يحولها الى حقائق مقررة .. ان الكلمة المؤثرة هي ( شيك ) قيمته الحقيقية ليست في ضخامة الرقم او صحة الامضاء ، وانما القيمة في الرصيد الذي يملكه صاحب الشيك » .

كان الشناوي انسانا وفنانا وهذا هو سر قوة كلماته وتأثيرها ... عاش الشناوي ليعبر عن حياته بالكلمة التي تنبض وتنطق وتؤثر وكان رصيده الصداقة ومحبة الناس ... كان يحب الناس ، كل الناس ، وكان في عشرته لهم يدرسهم ويجعل منهم مادة لكتاباته .. قال في ذلك : « انا لا اجلس مع الناس لاقتل وقتي ، وانما اجلس معهم لاخلق النبض في حياتي ، والطريقة التي ادير بها الحديث في مجالسنا ، تشحذ خواطري ، وتساعد افكاري على تدريب عضلاتها . وفي كثير من الاحيان اترك بيتي او مكتبي بعد عمل دائم يستمر حتى منتصف الليل واذهب الى حيث اجتمع بناس استريح لهم ، او اضيق بهم ، فالراحة والضيق يثيران شوقي الى الكتابة ، وانا لا اعرف كيف اكتب دون ان احس لذعة الشوق وحرارته » .

كان الشناوي يعبر تعبيرا صادقا عن نفسه وكان لا يخط كلمة لا تعبر تعبيرا نابضا عن حسه وفكره ... كتب قبل وفاته بقليل بعنوان « الكلمة ... اصبحت مشكلتي » قال : « طال حنيني الى التعبير عن مشاعري وافكاري بالكلمة ، فمنذ اصابني المرض في اواخر العام الماضي ، وانا اشعر بعجزي عن تسجيل انفعالاتي بالالفاظ والحروف .. كم من خاطر يختلج في نفسي فأحاول ان اجعل له وجودا بأن اعبر عنه فاذا تعبيري ناقص او غامض. وقد افهم التعبير برغم نقصه وغموضه، ولكن الصعوبة ليست في ان يفهم الكاتب ما يكتب ، وانما الصعوبة في ان يفهم القراء ما يعنيه الكاتب لكي يعيشوا معه أحاسيسه وخواطره فمن غير هذه المشاركة العاطفية والفكرية بين الكاتب والقارىء تصبح الكتابة صوتا بلا صدى » .

كان الشناوي يكتب بسرعة ، وفي اي مكان ، وكانت الجلبة او الضوضاء لا تقطع حبل تفكيره ، او تعوقه عن التفكير . وقد قال الاستاذ انيس منصور يصف خطه : « كانت سرعته تجعل الحروف لا تبعد كثيرا عن السطر.. ولذلك جاءت حروف الالف واللام وغيرها من الحروف الراسية ، كلها مكسورة الراس حانية الظهر حتى لا تبعد يده عن السطر وحتى لا تستغرق وقتا طويلا في العلو والانخفاض » .

وسر هذا ان الشناوي لم يكن يجهد نفسه وتفكيره بل كان يغرف من نبع قلبه وفكره ، من نبع يفيض بالاحاسيس والافكار والتجربة ، كان القلم دلوه يلقي به في النبع الغني المتدفق فيملأ الورق دون جهد .. وكان يكتب بين الناس ولا يجعله هذا يتعثر في كتابة ما يريد . فهو لم يكن يعد نفسه للكتابة بل كان يكتب ما يلح على فكره وقلبه .

ولد الشناوي في قرية « نوسا البحر » مركز « أجا » في شهر ديسمبر عام ١٩٠٨ وكان والده قاضيا شرعيا ، اراد له ان يلتحق بالازهر ليتفقه في الدين ثم يلتحق بمدرسة القضاء الشرعي ، والتحق الشناوي بالازهر ، ولكنه خلع الجبة والقفطان وارتدى الملابس العادية واتجه اتجاها آخر غير الاتجاه الذي كان يريده له والده ... وعمد الى التثقيف الذاتي بالقراءة والاحتكاك بالاوساط الادبية والفنية . ويحدثنا عن ذلك في يومية من ( يومياته ) بعنوان « الانسان الفنان ... الذي فتح لي الطريق » يقول : « عرفته في سنة ١٩٣٠ ، كنت شابا صغيرا ، وكانت الاحداث السياسية الداخلية قد اقصتني عن الدراسة واتجهت الى دار الكتب اشبع فيها نهمي في مطالعة كتب الادب ، والتاريخ ، ودواوين الشعر ، وعلم المنطق وآراء الفلاسفة . كنت اقضي في

دار الكتب اربع ساعات اقرأ وانقل واحفظ عن ظهر قلب ... وبغتة احسست اني اصبحت كاتبا وشاعرا. وكنت اتهيب التردد على الصحف لنشر ما خيل لي اذ ذاك انه جدير بالنشر ! فقد كان الخجل احد عيوبي الجميلة .. واخترت من بين الاصدقاء عشرة والفنا جمعية للادب والتمثيل .. وكنا نلتقي في قهوة الفن بشارع عماد الدين بعد ظهر كل خميس ، وفي هذا المقهى راينا بأعيننا يوسف وهبي ، ونجيب الريحاني ، وبشارة واكيم ، وزكي طليمات ، وروزا اليوسف ، وعباس العقاد ، وابراهيم المازني ، ومحمد التابعي .. وهذا الانسان الفنان المفكر ... وجلسنا معه ذات يوم ، سألناه : هل انت فلان ؟ نعم .. ومن انتم ؟ نحن اعضاء جمعية الادب والتمثيل . فضحك وقال : اريد ان اسألكم ماذا تعلمتم ؟ واخذ كل واحد منا يعدد له الكتب التي قرأها ويعرض عليه محاولاته في تأليف قصة او مسرحية ، ولم اجرؤ على ان اقدم له شيئا ، ولكنه سألني : وانت ماذا تكتب ؟ وحاولت ان اتهرب من عرض شيء عليه فقلت انا ممثل !!! وضحك زملائي .. وقالوا جميعا انني لست ممثلا وانما انا شاعر ... فقلت انا امثل دور الشاعر ! فقال : هذه الاجابة تدل على انك موهوب فعلا ، وشجعني قوله على ان انشد له احدى قصائدي بنبرة خافتة وصوت مضطرب فأعجبته وطلب مني ان اكتبها واخذها ، وطواها في جيبه وبعد ايام وجدتها منشورة في « البلاغ الاسبوعي » وكان المفكر الفنان مشرفا على هذا الملحق الادبي الذي يصدر كل يوم جمعة ، ولم استطع ان انتظر الى يوم الخميس القادم حتى اراه في المقهى واشكره ، فذهبت اليه في مكتبه بجريدة البلاغ مساء الاثنين وعندما رآني ابتسم وقال : انت فين ، شوقي بك جاء هنا وسأل عنك ، لقد اعجبته القصيدة » .

كان الانسان الفنان ... الذي فتح للشناوي الطريق هو الاستاذ ابراهيم المصري الذي مكن الشناوي من مقابلة الكاتب الكبير عبد القادر حمزة ، ثم مكنه من الالتقاء بأمير الشعراء احمد شوقي ... ويتابع الشناوي حديثه عن ( ابراهيم المصري ) فيقول « ترددت على الاستاذ الكاتب المفكر الفنان في مجلسه بالمقهى ، وكان المجلس ندوة ثقافية ، وكان الادباء الناشئون يلتفون حول استاذهم فيسألونه بسذاجة ويجيبهم بعمق ، وقد هداني الى قراءة بعض الكتب التي تهتم بفن الادب ، والكتب التي تعالج الموضوعات النفسية والفلسفية » .

ويحدثنا الشناوي عن اشتغاله بالصحافة فيقول : « لم اتعلم الصحافة في معهد من المعاهد المخصصة للدراسات الصحفية ولكني تعلمتها في مدرسة التجربة وما زلت حتى الآن تلميذا صغيرا فيها ... ولقد دخلتها عام ١٩٣٥ وكنت في السابعة والعشرين من عمري ، وكان لي ولع شديد بقراءة كتب الادب ، ودواوين الشعر ، وكانت ذاكرتي تعي الكثير من الشعر القديم والشعر الحديث وخيل الي ان هذه المعلومات تكفي لكي تجعل مني اديبا ، وشاعرا ، وكاتبا ، وصحفيا ايضا ! كنت من شباب الوفد ، وكانت جريدة « كوكب الشرق » احدى الصحف الوفدية ، فذهبت اليها ، وقابلت صاحبها المرحوم الاستاذ حافظ عوض بك ، وقدمت اليه ابياتا من الشعر ضد صدقي باشا واعجب حافظ عوض بالابيات ونشرها في مكان بارز .. وعدت اليه بعد ايام ومعي ابيات اخرى فأرسلها امامي الى المطبعة ، وشجعني بعبارات رقيقة وسألني عن صناعتي فقلت اني لا اصنع شيئا .

فقال : هل عندك مؤهلات دراسية ؟

قلت : لا ..

قال : لماذا لم تفكر في الاشتغال بالصحافة ؟

قلت : فكرت ولكني لم اعرف كيف احقق افكاري!

فقال : هل عندك مانع من الاشتغال في كوكب الشرق ؟

قلت : هذه امنية .

فقال : هل تريد ان تشتغل محررا تكتب مقالات او مخبرا صحفيا ؟ قلت اشتغل محررا .

فقال : اذهب الى الغرفة المقابلة واختر لك مكتبا فيها ، ثم تعال لنتفق على المرتب .

وعدت اليه فسألني : كم يكفيك ؟

عشرة جنيهات تكفي ! فقال : اتفقنا » .

وبدربه صاحب جريدة « كوكب الشرق » على كل الاعمال الصحفية فيعمل مصححا ، ثم يعلمه كيف يتصيد الاخبار من مصادرها وهو يعمل مصححا . وفي احد الايام دعاه حافظ بك الى مكتبه وكلفه ان يكتب كلمة ينتقد فيها تصرفا لوزير المعارف محمد حلمي عيسى ، وقد اعجبته الكلمة ونشرها في الصفحة الاولى ، وطلب من الشناوي ان يترك التصحيح قائلا له : « ستكون منذ اليوم محررا للصفحة الادبية على ان تراجع المقالات التي تصل الينا من الخارج وتكتب تعليقات صغيرة » .

وهكذا اتيحت الفرصة لكامل الشناوي ان يظهر في عالم الصحافة وكانت هذه الفرصة هي التي اظهرته .

ويتحدث الشناوي عن الصحافيين الكبار الذين عمل معهم امثال : محمود عزمي ، وجبرائيل تقلا ، وانطون الجميل ، وكيف افادوه بخبراتهم وتجاربهم ثم يقول « ليس هؤلاء وحدهم الذين علموني الصحافة فان اساتذة مدرستي ، مدرسة التجربة مئات ومئات ، بعضهم اكبر مني سنا ، وبعضهم اصغر مني سنا ، ولم اتعلم من الناس فقط ولكني تعلمت من الناس والاشياء ، تعلمت من كل ما شاهدته وما قرأته وما سمعته » .

عاش كامل الشناوي حياته بطريقته الخاصة واسلوبه الخاص ... احب الناس ، احبهم بخيرهم

وشرهم ، وفهم حقيقة الانسان فتعلم التسامح مع كل انسان ، قال في احدى يومياته « لا تظلم الناس ، ان بينهم من يغلب عليه الخير فيمنحك الحب والود والغفران ، وبينهم من يغلب عليه الشر فهو يحقد عليك لكل سبب ، وبدون سبب . اذا كان ضعيفا ولم تعطف عليه كما يريد حقد عليك ... واذا عطفت عليه كما يشاء واكثر مما يشاء حقد عليك لانك قوي وهو ضعيف ، وقد علمتني التجارب ان اكون دائما مع المظلوم ، والذكي ، وصاحب الموهبة ، يستوي في ذلك من تنطوي روحه على الخبث ومن تنطوي روحه على الطيبة .. ولكي اتفادى اذى الجانحين الى الشر فقد تعودت ان اكتم عنهم ما اقدمه لهم من خير حتى لا يتعقبوني بحقدهم » .

كان الشناوي صديقا مخلصا مضحيا ، طيب القلب كطفل ... هكذا قال عنه كل اصدقائه وهذا ما يمكن ان يلمسه كل من يقرأ يومياته .. أحب الاصدقاء حبا عظيما ، وارتبط بهم ارتباطا وثيقا ، وقد يكون هذا للوحدة التي كان يعيش فيها بلا زوجة او ولد . قال مرة يعرف الفرق بين الصداقة والحب « الحب حاد ، والصداقة عميقة » وسئل : ايهما اقرب اليك صديقك ام اخوك ؟ قال : لقد اجاب عن هذا السؤال عربي عاش في عصور الجاهلية قال : انما أحب أخي اذا كان صديقي » .

كان عظيم النفس ، طيب القلب ، لا يحقد ولا يحمل ضغينة لمن يخونه او يغدر به . سئل « ما رأيك في فلان ؟ قال : صديق أحبه ويحبني » . فأدير امامه شريط مسجل سمع فيه صوت صديقه وكان يتكلم عنه بكلمات لها اظافر وانياب . فسئل « ما رأيك ؟ هل اقتنعت بانك لم تكن على صواب حين منحت صديقك هذا ثقة عمياء ؟ قال : سامحه الله ! »

كان لا يحقد ولكنه كان يتعذب كثيرا وطويلا عندما يغدر به انسان قريب الى نفسه وقلبه ، كتب مرة يقول: « صديق عمري مهندس وشاعر ورسام . اعداؤه يعترفون بمواهبه ، ولكنهم يتهمونه بالغدر وخيانة الاصدقاء والتآمر على الناس ، حتى نفسه ، حتى مهنته وهوايته وموهبته ! واصدقاؤه يتهمونه بالوفاء والصراحة وحب الخير ... واحصيت اعداءه فاذا هم مئات ، واحصيت اصدقاءه فلم اجد له صديقا سواي. حاول ان ينهشني وانا انحني عليه اضمد جراحه .. ولم اتألم ، ولكن اشفقت عليه من مواجهة اعدائه ! كيف ادفع عنه اذاهم وانيابه مغروسة في عنقي ؟ رفقا بأنيابك يا صديقي ... فلن تقتلني .. انني اعيش بالحب ، وانت تعيش بالكراهية ، والحب انتصار .. والكراهية خذلان سأبتعد عنك .. ولكن لن احقد عليك ... اعداؤك فقط هم الذين سأحقد عليهم ، فقد كانوا اذكياء وكنت انا الغبي ! يا صديق عمري .. لقد اخذت صداقتي والقيت بها في البحر فلماذا لم تأخذ معها عمري ! لن ابتعد عنك وحدك ، سأبتعد عنك وعن اعدائك حتى اوفر من وقتي كل يوم ساعة كنت دائما اقضيها في الدفاع عنك ... ولم اكن كاذبا في دفاعي ، ولكني كنت صادقا ، وكل ما حدث انك خدعتني بكذبك واني خدعت نفسي بصدقي ! »

كان الشناوي محبا لم يعرف الكراهية ، كان محبا للناس جميعا وكان يرى ان الانسان في حياته في حاجة الى كل انسان حتى ولو كان هذا الانسان تافها احمق . اسمعه يقول « ان الناس هم الاردية التي نلبسها في الحياة .. فيهم الملابس الداخلية ، وبينهم المعطف الذي ندفيء به الجسد ، وبينهم ربطة العنق التي تزين الصدر ، وبينهم الحذاء الذي يحمي القدمين من الحفاء ... »

كان الشناوي يحب الناس ويحب ان يكونوا معه في سهراته ... كان يسهر طول الليل وبعض النهار وينام معظم النهار ... وكان هذا هو السبب في ان كثيرا من اصدقائه لم يستطيعوا مجاراته ومن هنا كانت شكواه من وحدته وعزلته او انصراف الاصدقاء عنه . يحكي لنا الاستاذ محمد التابعي ان الشناوي تقدم لخطبة احدى قريبات ( التابعي ) ولم يوافق ( التابعي ) على هذا الزواج وعندما التقى التابعي بالشناوي في رأس البر .. احس التابعي ان الشناوي يريد ان يقول شيئا ولكنه يحس بالحرج فقال له الاستاذ التابعي : « تريد ان تسألني لماذا عارضت في زواجك من فلانة ؟ » قال : نعم ، قال التابعي « انت يا كامل مولع بالسهر طول الليل .. تقوم الليل كله .. وتنام النهار كله .. فماذا تفعل زوجتك الشابة طول الليل ... » وصمت الشناوي طويلا ثم قال : « اصبت ... الحق معك » .

وقال عنه صديقه الاستاذ انيس منصور « ان مشكلة كامل الشناوي ان حياته مرهقة له ، ومرهقة جدا لغيره .. وانه لا يستطيع ان يكون بمفرده .. وحتى عند النوم فانه لا ينام الا اذا صحا كل من في بيته .. او كل من في القاهرة .. ينام عندما تصحو الشمس » .

وقال عنه الاستاذ محمد التابعي : « كان ــ رحمه الله ــ يحب الحياة وينهل منها ملء راحتيه .. وبعض ما ينهله كان سما زعافا .. كان يتناول في اليوم الواحد ثلاثين او اربعين قدحا من القهوة .. وكان مريضا بالسكر والباوليتا » .

وقال الاستاذ انيس منصور : « لم يكن الشناوي بالرجل المنظم في حياته ، في طعامه او شرابه ، ولم يكن بالرجل المنظم في قراءاته او كتاباته ،او نومه او صحوه .. كان يرى ان الدنيا لا تساوي شيئا وكان يحرص بنظام دقيق على تحطيم هذه الحياة ... لقد كان كامل الشناوي جسيما ، وكانت امراضه وهمومه جسيمة

ايضا » .

وقال عنه التابعي : « كامل الشناوي انسان انتحر حبا بالحياة ! »

وقال انيس منصور « كانت حياة الشناوي مجموعة افكار وشلة اصدقاء وحفنة امراض » .

كان الشناوي على صلة بكل اديب وكل كاتب وفنان ومطرب ومطربة وممثل وممثلة وسياسي ، ولكل هؤلاء حكايات ونوادر معه .

كان الشناوي شاعرا فنانا ... بالاضافة الى كونه انسانا .. كان فنانا مبدعا .. كان في كل ما يكتب ينقلنا الى ذروة الحياة ، نحب ونتألم ، ونفكر ونسمو ، وننفعل بالخير والحق والحرية والجمال .. كان فنانا صادقا ، والفنان الصادق كما عبر عنه الشناوي هو الذي يستطيع ان يقول كلمته بلا تمزق ، وكثيرا ما قال مع جبران خليل جبران « قل كلمتك وامش » واخيرا قال الشناوي : « الفنان الذي يشق طريقه الى الخلود هو الذي يعرف كيف يقول كلمته ولا يتمزق ولا يمشي ولكنه يظل صامدا لها » .

عاش كامل الشناوي حائرا ... اعياه لغز الحياة ؟ كتب يقول « في احيان كثيرة يخطر لي ان حياتنا ليست الا وهما .. وان ما فيها من كائنات حية وحركة وامتداد زمني ، وابعاد ومسافات ، ما هو الا هواجس او كابوس او اضغاث احلام .. وهذا الخاطر يسيطر على نفسي كلما اصابني مرض او فقدت صديقا ميتا او حيا ، وحياتي مشحونة دائما بنوبات المرض . وعدد الاصدقاء الذين فقدتهم موتى ، اقل من عدد الاصدقاء الذين افقدهم وهم احياء » .

كان يؤلمه التفكير في الموت ...

ويقول في هذا :

أي معنى للورد
يولد في الروض صباحا
وينتهي في المساء ؟!

قال المرحوم جليل البنداري : سألته مرة ، ما هي الابيات التي تختارها لتصحبك في رحلتك الى الآخرة ، قال : هذا البيت للعباس بن الاحنف :

استغفر الله ذنبا من محبتهم فانها حسناتي يوم القاه

ويسأله البنداري عن ذنوبه ، فيقول : ان لي اخطاء وليس لي ذنوب .

ويسأله البنداري : ما هو الخطأ الذي يتردى فيه الانسان وما هو الذنب ؟

الخطأ ينعكس اثره على نفسك ، والذنب ينعكس اثره على غيرك ... فاذا اهملت صحتك فهذا خطأ ... واذا سرقت ادوية الناس فهذا ذنب .. وانا - في حياتي - لم اسرق الادوية ، ولكني اهملت صحتي .

ويسأله البنداري : هل تتهيب من لقاء الله ؟

فقال : زمان - وانا في شبابي - لم يكن عندي التجربة ولا الممارسة لاعظم ما خلقه الله واتاح لنا ان نعيشه وهو الحياة . زمان لم يكن عندي الايمان عن تفكير وشعور ، كان الايمان شعورا فقط وقد اصبحت بحمد الله جديرا بأن القى ربي في كل لحظة ، فأنا أؤمن به بفهم وافهمه بايمان ... من واجب الناس ان يقرأوا الحياة ويمارسوها بكل ما فيها ، عليهم ان يواجهوا فتنتها ، ومن استطاع مقاومة الفتنة فهو الذي يستحق ان يبعثه الله .

كان الشناوي حائرا اعياه سر الحياة وكان دائم التفكير في ما يعانيه الناس من آلام وشقاء ، لذا كان يبدو متشائما .. وينفي عن نفسه التشاؤم فيقول في مقدمة ديوانه « لا تكذبي » : لا تتهمني بالتشاؤم لان بعض الفاظي حزينة ، وبعض تعبيراتي مقطبة الجبين ، فما دام الموت يتعقب حياتنا ، وما دمنا لا نعرف من نحن ، فان المجانين وحدهم هم الذين يضحكون للحياة ويسمون ذلك تفاؤلا ، لست متشائما ، ولست مجنونا ولكني احاول ان اكون صادقا مع ما اشعر به وما افكر فيه ، وانا في شعري التزم بانسانيتي وخلجات نفسي وقد حاولت في شعري ان اغني وابكي وارقص بصدق وموسيقى .. ولا اعرف هل نجحت محاولتي او فشلت .. كل ما اعرفه اني كنت صادقا في غنائي وبكائي ورقصي .

كان الرجل قوي الاحساس ، دائم التفكير ، كثير التأمل ، صادقا في التعبير عن نفسه ، لا يخفي شيئا ، عبر عن كل ما يدور برؤوسنا ، ونخبئه في اعماقنا ... وكان يعيش حياته كفنان يرصد جميع احساساته ، ولكن مسحة من التشاؤم كانت تغلف تفكيره ، اسمعه يستقبل يوم مولده :

عدت يا يوم مولدي
عدت يأيها الشقي
الصبا ضاع من يدي
وغزا الشيب مفرقي
ليت - يا يوم مولدي
كنت يوما بلا غد
انا عمر بلا شباب
وحياة بلا ربيع
اشتري الحب بالعذاب
اشتريه فمن يبيع

واسمع ما عبر به اخيرا عن حياته :

« ما اشبه طريق حياتي ببيت نصفه مفروش ، والنصف الآخر خال من الاثاث .. اتلفت ورائي فأجد الايام تغطي طريقي ، وانظر امامي فارى الطريق عاريا الا من يوم أراه ويوم لا اكاد اراه !

يا شقوتي من طريقي ... يثير خوفي كلما تقدمت خطوة ، ولا استطيع ان ارجع الى الوراء فهذا محال ،

# ورحلت الشمس

وحين يعود ذات ضحى    ويبحر عبره التذكار
سيبصر حوله قفرا    فلا دور ولا أحجار
ويخطف سمعه صوت    وما في الارض من ديار
ولا سفن على الشطآ    ن قد حلت ولا أسفار

اذا ما عاد ذات ضحى    وغطت دربه الامطار
وطأطأ باحثا في الار    ض حينئذ عن الآثار
سيدرك ان موعده    غدا خبر من الاخبار
وان الشمس قد رحلت    وأن الدار غير الدار

اذا ما عدت يا حبي    تذكر حكمة الاقدار
فلن يأسى لنا زمن    ولن ينـدك او ينهار
ستشرق مرة اخرى    وتورق بعدنا أشجار

دمشق    سلافة العامري

هل اقف مكاني واتجمد حتى لا اصل الى العراء الذي ينتشر كالظلال القاتمة ؟ ان الوقوف والتجمد كلاهما موت ، وانا لا اخاف الموت ، ولكني لا اسعى اليه .

واذا ما ارسلت بصري امامي احسست الوحشة والكآبة ، وشعرت بأني فريسة لخيانات تنبع من اعماقي ، وليس هذا الشعور وهما ، فقد خانني عمري ... سرق شبابي واختلس قواي . خانني ذكائي فظننت الابيض أسود ، والاسود أبيض ! خانتني ذاكرتي فنسيت من أنا ، وتوهمت اني ما ازال قادرا على ان اجد صباي بانفعال عاطفي جديد .. وفي لحظة تبين لي اني لا اجد صباي ولكني اجد شيخوختي ! فأفقت من غفلتي ، واخذت حذري من خيانات العمر والذكاء والذاكرة .. ولم يسعني الا ان ارضخ للحقيقة واهرب من انفعالي الجديد » .

مات الشناوي ولم يترك كتابا يحمل اسمه غير ديوان شعر « لا تكذبي » وقد قال في احدى يومياته عن سبب احجامه عن جمع ما كتبه في كتب : « انا اتهيب تأليف كتاب يحمل اسمي . واني لاعرف ناسا يبهجهم ان تصدر لهم دور النشر كل يوم كتابا او قصة ، او ديوان شعر ، فما سر تهيبي مما يبهج هؤلاء الناس ؟ انا اومن بأن الحياة نمو وحركة ، وكل يوم انمو بالقراءة ، واتحرك بدراستي المباشرة للناس ، فحياتي متطورة وهذا التطور يغير نظرتي الى الاشياء ، فيثير شكوكا في آرائي او يدعم هذه الآراء . وكم من فكرة خطرت لي ، فلم اجرؤ على اذاعتها واكتفيت بتسجيلها في دفتر ادفنه بين كتبي المتناثرة في جميع غرف البيت حتى لقد صار بيتي اشبه بمقابر الصدفات . واحيانا تمتد يدي الى دفتر من هذه الدفاتر فأقرأ فيه سطورا تعجبني ، واقرأ سطورا اخرى لا تعجبني ثم اتركها كما هي ، فمن يدري لعلها تعجب غيري فيذيعها بعدما اصبح في ذمة التاريخ » .

لقد اصبح الشناوي في ذمة التاريخ وانا لنرجو ان ينشر كل ما كتبه على محبي فنه .. وما لم ينشر من انتاج الشناوي كثير ، عدده لنا في احدى يومياته ، قبل موته قال : « ظللت طيلة اليوم اراجع اوراقا لم انشرها بعد ، فوجدت قصصا قصيرة ، وقصة طويلة بدأتها في عام ١٩٥٠ ، عثرت على بضع قصائد تحتاج الى اعادة النظر فيها ، وعدة بحوث عن حياة المتنبي ، وابي حيان التوحيدي ، وسخرية ابي العلاء .. واخذت اقلب في المجموعات التي تضم ما نشرته لي الصحف خلال خمسة وعشرين عاما ، واذا هي تكفي من حيث كثرتها لاصدار عدة كتب تتناول عشرات الموضوعات » .

هذه بعض جوانب من فكر وحياة الشاعر الاديب الفنان كامل الشناوي .. الانسان الذي احب الناس من كل قلبه ، والذي كان يحب ويفكر بقلبه والذي عاش الحياة بكل ما فيها .. وكانت كلماته تعبر دواما عن تلك الحياة التي عاشها .. كانت كلماته كحياته ترقص وتغني وتذرف الدمع .

القاهرة    ايليا حليم حنا

جلست خلف منضدتي ، وبحثت عن قلمي الضائع بين اوراقي الكثيرة.. أف من نفسي . لم لا اضع قلمي الذهبي في مكان معين أمد اليه يدي فآخذه دون بحث؟ الحقيقة اني احب الفوضى ، والا لما بلغت الخامسة والثلاثين دون ان أركن الى امرأة اجعلها زوجة لي ، ولكن من هي تلك التي تصلح ان تصبح زوجتي؟

باعدت بين الاوراق ، وتطلعت الى صور الفتيات الموضوعة تحت زجاج المنضدة الشفاف ، صورة لكل فتاة احببتها في ربيع الحب ، وما ان يأتي الخريف حتى تصفر اوراق الشجر .

لم تكن الصور موضوعة بشكل مرتب ، لكن لكل صورة جمال من نوع معين .

عثرت على قلمي ، فتحت الدفتر السميك ، وابتدأت اخط مذكراتي .

الجمعة ٢٥-٦-١٩٧١

كانت الساعة العاشرة صباحا، وكنت ما ازال نائما عندما قرع الجرس بقوة وبرنين طال حتى حسبته ساعة، لعنت قارع الجرس في سري، وتكهنت، انها لا شك جارتي، العانس الثقيلة التي تحبني واكرهها ، اتت لتعرض علي خدماتها ، انها لاتعرف شعوري نحوها ، لاني اطلب منها احيانا ان تطبخ لي ، فأعود في الثانية ، لاجد ما طلبت طازجا ، استلذ بالطعام ، لكني اشعر في قرارة نفسي بانها ضئيلة لا تستحق مني ادنى التفاتة ، لست حقيرا في شعوري ، انها هي السبب ، هل يشتري الحب بالخدمات؟ اريد امرأة جميلة ، اخدمها كالملكة ، واطيعها كالاسير ، أوه كم أحب الجمال ؟ جمال الوجه والفكر ، اثنان احبهما ولكن اين تلك التي تجمع الاثنين فأتزوجها ؟ وادللها ؟ لن اسمح ليديها الناعمتين بمس شيء يفسد رقتهما ، انها فقط للنظر والحديث والقبل .

فتحت الباب ، كانت جارتي بالذات « عدوية » سلمت عليها باقتضاب ، وقلت لها :

ـ نعم ..

ـ البارحة في الساعة السادسة مساء ، زارتك فتاة اسمها جيداء..

ـ لكن هل كنت انت خارجة حتى وجدتها على الباب ؟ قالت بدلع سخيف :

ـ سمعت قرع الجرس، ففتحت لاجد من يطرق بابك ، واخبرك بعدئذ .

ـ شكرا . هل تريدين شيئا آخر ؟

ـ بل انا التي اخدمك يا استاذ..






بقلم السيدة ضياء قصبجي

قلت حانقا مغتاظا :

ـ نعم . لدي عدة قمصان متسخة ، هل بامكانك الاعتناء بها؟

ـ اخدمك بعيني ..

ـ اذن خذي .

جلبت لها قمصاني المتسخة ، فاحتضنتها بفرح وهرولت الى بيتها كأنها تقبض على كنز .

يا لها من غبية ؟ كيف تفكر بانسان مثلي ؟ يتزوج انسانة مثلها؟

لم اكمل كتابة مذكراتي حتى ابتدأت ذبابة تحوم حول وجهي وعيني ، طردتها بيدي للمرة الاولى والثانية والثالثة ، لكنها ما لبثت أن عادت ، ثرت وتساءلت ، هل تثيرني هذه الذبابة ايضا ؟ أف من هذا الحيوان اللعين ؟ الذي خلق لازعاج الانسان واخراجه عن طوره؟ تركت القلم ، وكانت ما تزال تحط على ارنبة انفي بدغدغة مثيرة ، ثم تطير لتقف على رموش عيني ، ثم تقف بين شفتي . صدر عني صراخ أعقبته صفعة على خدي وانا احاول قتلها ، لكنها طارت، قررت ان اترك الغرفة واذهب الى المطبخ لاصنع لنفسي فنجال قهوة ، لعل الذبابة تضيعني واضيعها ، كما يضيع كثير من المحبين ، فأعود الى قلمي، لدي عدة مشاريع ، سأكتب مقالا الى جريدة عنوانه « خطوات الادب مع كل عصر ».

تخلصت منها وهيأت فنجالي الخاص الذي لا يشرب احد فيه قهوته سواي ، تساءلت ضمنا ، ترى لو انه لي زوجة تهيء لي مثل هذا الفنجال من القهوة ، هل اكون سعيدا اكثر ؟ لم لا اتزوج امرأة ناضجة تهيء لي ما احب من اجواء، وتكون دافعا لي لتحقيق الامنيات؟ فانا حتى الان اكتب في مجالات ضيقة ، ولم تعط حروف اسمي ذاك الرنين والطنين ، هل اسعى للشهرة كما فعل غيري وغيري ؟نعم ولم لا ؟ الست انسانا ، ولي رغبات لا استطيع بعد الحد منها واتخطيطها؟ متى تموت رغبات النفس المتقدة؟ انها لا تموت .

اذن متى تطفأ ؟ سأعمل على اطفائها او امراضها .

عدت حاملا فنجالي بيدي، جلست مكاني، واشعلت لفافة ، اوه يا للذة؟ رشفت رشفة اولى واذا بالذبابة قد عادت الي كحبيبة تعود الى حبيبها بعد غياب ، وضعت الفنجال على المنضدة ... ورحت اراقبها ، واذا بها تحط على حافة الفنجال وتستنشق رائحة البن المعطر بحب



الهال ، هذه الحقيرة وقفت مكان شفاهي ، طردتها ، حلقت فوقه ثم حطت عليه من جديد .

يخيل الي ان هذه الذبابة جنية، الم تكن جدتي تحكي لي عن جنيات يتخذن صور حيوانات ويظهرن بها؟ كانت تقول : اذا كانت القطة سوداء كلها ، كأنها تخرج من جرة الحبر الاسود ... وظهرت في الليل ، فانها جنية . من يدري ؟ ربما تأخذ ايضا شكل ذبابة ، انها تضايقني عمدا وبتفكير وتصميم ، لكن حتى عندما كنت صغيرا لم اشاهد جنية مزعجة مثل هذه ، وكنت اريد ان أتعرف على صنف الجن، وعندما كبرت القيت بهذه الخزعبلات ، لكن هذه الذبابة المنحطة تريد ان تزعزع ايماني ، وتغير رأيي .

انها ما تزال تحرك قوائمها ، وترشف من فنجال قهوتي ، انها اذن الوحيدة التي شاركتني هذا . فكم انا سعيد ومحظوظ ؟

جلست ادرس الامر ، واحلل الحادث بعمق ، لا . ليست الذبابة هي السبب فيما اعاني بل الوحدة، الوحدة قاتلة في بعض الاحيان، ولقد مللتها ، وازحت الذبابة بظل يدي فطارت ، ودارت عدة حلقات حول وجهي ، ثم وقفت على حاجبي، أزحتها من جديد وانا اقول في نفسي ... ان اي انسان مهما كان ذكيا بارعا في ايذاء مشاعري ، لا يصل الى ما وصلت اليه هذه الذبابة .

حملت فنجالي ، واحتسيت قهوتي وانا أسير من هنا لهناك، علها تنساني وتضيعني ، ان المراة المحبة تنسى ، الم تنس « رولا » المجيء الى موعدنا ؟ عدت الى مكاني فعادت الى فنجالي تشاركني كحبيبة مدللة غالية وصل بيني وبينها الانسجام والحب الى درجة ان نشرب معا قهوتنا بفنجال واحد وكأننا انسان واحد ( أنا والذبابة ) .

لطمتها بقوة ، فاندلعت القهوة من الفنجان ، وهوى على الارض حطاما ، بينما نفذت ذرات القهوة الى ما تحت الزجاج الشفاف ، وافسدت صور حبيباتي ، فاسودت وجوههن ، رحت اتبعها من مكان الى مكان ، واقفز ، واصفق بكفي لاسحقها بينهما ، لكنها تهرب وتضحك ، فقدت فنجال قهوتي الذي احتفظت به سبع سنوات ، وكان بالنسبة لي كالانسان العزيز، لا احيا دونه . بلونه البرتقالي ولا يفارقني حتى في سفري وتجوالي .

غادرت الغرفة ، وقررت ان اغادر البيت ، وكأن الذبابة تطردني




السيدة ضياء قصبجي

●

من بيتي كزوجة شريرة . وفيما انا ارتدي ثيابي قلت : ان الذبابة ليست اكثر من اداة تحرك شجوني الكامنة ، ولا تخلق شيئا من عدم. هذه الحشرة الدنيئة ، تضرب على اوتار احاسيسي ، فتهيؤها لعقابي ما معنى ان احب فتاة ، ثم اهجرها؟ الست انسانا ذا ضمير ؟ وهل انكر بعض الليالي المؤرقة بعد ، ان ودعت بعض فتياتي ؟ وسهرت مع الندم .؟

لسوف أصبح غير ما انا .. سأبحث عن زوجة تشاركني الحياة ، وتفني الوحدة . ما بها جيداء ؟ انها فتاة جميلة ، مثقفة ، وتبادلني الحب، وهي كذلك مرحة، سترحب بي ، وسأكون سعيدا معها .

انتهيت من ارتداء ملابسي ، وعدت الى الغرفة احمل قلمي الذهبي في جيب معطفي واوثقه به فيظهر اعلاه ، اني لا اكون مرتاحا دون قلمي ، وكأنه لساني ، لاحت مني التفاتة الى الجدار ، فوجدت الذبابة المجرمة ، حملت الشبشب بيدي وضربت مكانها ، لكنها بسرعة خاطفة اعتلت ، صعدت الكرسي ، وضربتها مرة ومرتين ، لكنها ارتفعت الى اعلى ، ولم اعد ابلغها.

لعنة الله على الذباب . ان الله حكيم ، لكني لا افهم الحكمة من وراء خلق الذباب ؟ لعل الله تعالى يريد ان يظهر ضعف الانسان ، امام اضعف واحط مخلوقاته .

وبينما انا في محاولة قتل لا يعاقبني عليها القانون ، قرع الجرس ، وجدت فيه منقذا ، ولمست فيه جمالا وروعة ، هرعت الى الآتي اريد ان اقبله على انقاذه من موقفي .

كم نقع وتحملنا الايادي .. وكم تحملنا الايادي فنقع ؟.

فتحت الباب ، واذا بعدوية تتمايل وتقول لي :

ــ لقد سمعتك تخبط على الجدار ، انك تطلبني أليس كذلك يا استاذ ؟

تنفست ، وقلت لها بهدوء ، وانا اسحبها من يدها .

ــ تعالي ، تعالي اجلسي هنا قربي ، أنت افضل من الذبابة على كل حال .

حلب — ضياء قصبجي

# الليل .. ودقات الساعة

محمود محمد كلزي

الليل يهوم .. عند الابواب ..
وتنام الانجم في الافق ..
وعلى المصباح .. فراشات ..
تلطم وجه الالق ..
وسكون ياكل من قلقي ..
وبقايا صور من يومي الراحل دون اياب ..
تحتل زوايا الغرفة .. والفسق ..

الساعة تزحف .. في بطء ..
كعقارب .. تزحف في بطء ..
تتسلق جبهتي التعبى .. المرتاحة للضوء ..
وعيوني تسبح في اللاشيء ..
كشراع .. يخبط في عرض البحر بلا ملاح ..
يدفعه النوء .. الى نوء ..

دقاتالساعة..في اذني..في قلبي.. فياضلاعي.
كمطارق .. تسحقني .. تسحق عظميواهابي.
وتمزق اعصابي ..
وتمر وجوه شاحبة.. عابسة .. دون وضوح..
ويمزقها صوت الريح ..

الظلمة تجثم عند الباب ..
ونبــاح كلاب ..
لا شيء .. سوى دقات الساعة يخنق نبضي..
ياكـل بعضي ..
وظلال سوداء .. ترفرف فوق جدار الغرفة ..
تافهة ايامي ..
وحياتي المقتولة أتفه ..
لا شيء .. بلا حب يحيا قلبي ..
هل يحيا القلب .. بلا حب ؟!.

يا فاتنتي .. يا من تمرق من دربي !..
نظرتك الحلوة .. قنديلي في الليل ..
عيناك شراع .. يبحر بي .. في بحر الويل ..
وتدق الساعة .. دقات تبلغ عشرا ..
ساعات ماتت من عمري .. عشرا .. عشرا ..
ولت في ادراج الريح .. بلا ذكرى ..
هل يحيا القلب بلا حب .. وبلا ذكرى ؟!..

الساعة غرتني .. تاكل ايامي ..
كجراد .. حط على حقل الزرع النامي ..
تزحف .. تزحف .. في بطء ..
وعيوني تسبح .. في اللاشيء ..
كشراع يضرب في عرض البحر بلا ملاح ..
يدفعه النوء .. الى نوء !! ..

دمشـــق

# فن الرواية عند عبد الحليم عبد الله

بقلم عبد الرحمن شلش

* * *

في ٣٠ يونيو ١٩٧٠ توفي الروائي والقاص المصري الكبير محمد عبد الحليم عبد الله عن ٥٧ عاما .

وفي الذكرى الثانية لرحيله نقدم هذه الدراسة تحية وفاء لذكراه الخالدة .

★

يعتبر الروائي والقاص المصري الكبير محمد عبد الحليم عبد الله ( ١٩١٣ — ١٩٧٠ ) واحدا من اشهر الروائيين المصريين الذين اثروا المكتبة العربية بانتاجهم الروائي .

فعلى امتداد ربع قرن مضى كتب محمد عبد الحليم عبد الله اثنتي عشرة رواية ، عدا رواية اخرى لم تتم صدرت له اخيرا ، بالاضافة الى انتاجه في القصة القصيرة الذي بلغ تسع مجموعات قصصية .

وفي هذه الدراسة نتناول انتاجه الروائي بالعرض والتحليل والتقييم ، حتى يمكن ان نلقي الضوء على اعماله الروائية ، وهي بالترتيب :

لقيطة ( ١٩٤٦ ) — بعد الغروب ( ١٩٤٩ ) — شجرة اللبلاب ( ١٩٥٠ ) — الوشاح الابيض ( ١٩٥١ ) — شمس الخريف ( ١٩٥٢ ) — غصن الزيتون ( ١٩٥٥ ) — من أجل ولدي ( ١٩٥٧ ) — سكون العاصفة ( ١٩٦٠ ) — الجنة العذراء ( ١٩٦٣ ) — البيت الصامت ( ١٩٦٦ ) — الباحث عن الحقيقة ( ١٩٦٦ ) — للزمن بقية ( ١٩٦٩ ) — قصة لم تتم ( ١٩٧٠ ) .

والواقع ، ان محمد عبد الحليم عبد الله ينتمي الى الجيل التالي لجيل الرواد الاوائل لكتاب الرواية المصرية، ولكنه لم يلق حقه من التقدير والتكريم ، ذلك لانه عانى اشد المعاناة طوال حياته الادبية من التجاهل في بعض الاحيان ، ومن الاتهامات والهجوم غير الموضوعي في احيان اخرى ، ورغم هذا لم يكف اديبنا الراحل عن الابداع الفني لحظة واحدة ، حتى وافته المنية .

وما اشد حاجتنا الى مداومة البحث والدراسة والنقد الموضوعي لانتاج ادبائنا المعاصرين والراحلين ، لكي نستطيع تقييم اعمالهم تقييما امينا من خلال القاء مزيد من الضوء على اتجاهاتهم الفكرية ، وتتبع تطورهم الفني .

وبين رواية « لقيطة » التي بدأ بها الكاتب حياته الادبية ، وروايته « قصة لم تتم » التي كتبها وتوفي ولم يتمها ، وصدرت بعد وفاته ، تتفتح الكثير من الآفاق امام الباحث في اعماله ، فالملاحظ ان معظم رواياته يغلب عليها الطابع الرومانسي ، وتدور حوادثها بين مجتمع الريف والمدينة ، باستثناء رواية « الباحث عن الحقيقة » فهي رواية تاريخية بطلها « سلمان الفارسي » الصحابي الجليل الذي يعد اول فارسي اعتنق الاسلام .

ان السمة الغالبة على انتاجه كانت تتمثل في العلاقات العاطفية ، بينما كانت الاهتمامات الاخرى التي تبديها شخصياته نحو المشاكل الانسانية تبدو في المرتبة الثانية ، فالحب كان موضوعه الروائي المحبب ، وقد تعددت نظرته الى موضوع الحب بمختلف معانيه وصوره السامية ، ففي رواياته الاولى عالج موضوع الحب من خلال العلاقة التي تربط بين الحبيب وحبيبته ، والام وابنها ، والاب واولاده ، حتى تطورت معالجته في رواية « الباحث عن الحقيقة » الى حب الحقيقة ، ثم في روايته قبل الاخيرة « للزمن بقية » الى حب المجتمع والاهتمام بمشاكله ولا سيما مشكلة الحرية ، وفي آخر اعماله « قصة لم تتم » ربط بين الحب والموت من خلال مشكلة الحرب .

ولا شك ان الموضوع الروائي عنده قد تطور تطورا كبيرا خلال انتاجه الروائي كلـه ، حيث عالج قضايا اجتماعية وفكرية مقدما لنا انواعا متباينة من العلاقات الانسانية السائدة بين البشر .

وكان محور الحركة الروائية عنده يقوم على الاخطاء والغفران والمسؤولية ، فالاخطاء كثيرة ، ولكنها تفتح الباب لمسألة الصفح والغفران ، وبالتالي فان مسألة الغفران تفتح الباب بدورها امام المسؤولية ، فشخصياته معظمها يدرك ما يقع عليها من مسؤولية وما يترتب على ذلك من نتائج اخلاقية واجتماعية .

واغلب الشخصيات المحورية في رواياته تنتمي الى الفئات الفقيرة والكادحة المكافحة من أجل الحياة والبقاء في ظل ظروف معيشية كريمة ، وينحصر الصراع عنده بين الانسان والارض ، ويتطور ويتمدد ليشمل الصراع اساسا بين الانسان والانسان ، وفي هذا الصراع نلاحظ ان الخير دائما يتغلب على الشر ، كما نلاحظ ان كثيرا من شخصياته يعاني من القهر ، وتنعكس معاناتها في محاولات من اجل قهر الاخرين ، الا ان الطيبة والسماحة والخير، وهي سمات هذه الشخصيات ، تجعل الشخصيات ترفع الشعار القائل : نعيش وندع الآخرين يعيشون .

وعندما نحاول التعرف على صورة المرأة في رواياته، نجد انه قدمها في صورة ايجابية ، وليست سلبية ، اذ اعطاها في كثير من شخصياته النسائية قدرا من حرية التفكير والسلوك ، وهذه الامور نجدها شائعة الآن ، لكنها لم تكن شائعة في الزمن الذي جرت فيه احداث رواياته الاولى ، فهناك فتيات مجتهدات يفرضن احترام الغير

## نــورا

وأبيـت أنسـج مـن خيـوط الفجـر شالا للجبـين
والعقـد أنظمـه لجيـدك مـن زهـور الياسمـين
والنجـم أسأل عـن رؤا كـ.. وأي حلـم تحلمـين
وقصائـد الغـزل الرقيقـة فـي شفـاه العاشقين
رويتهـا أشواق قلبي .. واختلاجـات الشجـون
كيمـا تزغـرد فـي الشفاه فيشرق العمـر السجين
يـا زهرة عشق الفـؤاد عبيرهـا .. عشق الفتـون
انـي أسير فـي هواك .. متيـم .. جـم الحنين
انـي أسير فـي هواك .. متيـم .. جـم الحنين

شبين القناطر ـ مصر رفعت محمد سلام

لهن بفضل طهارتهن مثل « ليلى » الفتاة اليتيمة في رواية « لقيطة » ، ومثل « اميرة » الفتاة الفتـاة الحازمة في رواية « بعد الغروب » ومثـل « سميرة » الشجاعة في رواية « من اجل ولدي » .وهناك الارامل اللاتي جاهدن لتربية اولادهن ، فكن قاسيات بعض الشيء ، لكنهن كن جديرات بالاعجاب ، مثل « ام مختار » في رواية « شمس الخريف » ومثل « والدة فؤاد » في رواية « مـن اجـل ولدي » ، ففي صور المرأة كأم وصديقة وحبيبة وعشيقة، استطاع الكاتب ان يقدم اكثر من رواية تصور لنـا قصة الحب الذي يربط بـين الام واولادها ، وبين الحبيبـة وحبيبها .

ولعل الريف في رواياته كان مجـالا فسيحا خصه باهتمام كبير وبالغ ، فقد صور اهلـه تصويرا دقيقـا وامينا ، ولعل مولده ونشأته في الريف قد افادته كثيرا ، فالقارىء لرواياته يمكنه في سهولـة ويسر ان يستنشق رائحة الريف من خلال سطوره : خضرته وترابه ، سحره وجماله ، هدوئه وسكونه ، بهجته وروعته ، طيبة اهله وسذاجتهم ، عراقتهم واصالتهم .

ومن خلال احداث رواياته نحس انـه يعبر عـن مجتمع في دور الانتقال ، فمعظم شخصياته تتحرك مـن القرية الى المدينة ، يملأ قلبهـا الحنين والشوق الـى الريف دائما ، بينما تجذبها مغريات المدينـة ومباهجها ، وهذه النظرة الصائبة من المؤلف تتفـق تماما والواقع التاريخي التي مرت به البلاد ، وقد عبر عنها في كثير من رواياته .

ولا غرو ، ان قلنا ان محمد عبد الحليم عبد اللـه هو واحد من روائيينا القلائل الذيـن تناولوا مجتمع القرية والمدينة معا دون الاقتصار على اي منهما .

وكما كان المضمون متطورا عند الكاتب مـن خـلال تطور موضوعاته وشخصياته ، كذلك كان الشكل متطورا في رواياته ، فالشكل الفني في معظم ، بل كـل رواياته ، يتميز بوجه عام في محاولة التأرجح بين الزمنين : الماضي والحاضر ، والتأرجح بين العاملين : الداخلي والخارجي.
وقد تطور الاسلوب الروائي عنده ، وقد اهتم بالاسلـوب منذ بدا يكتب روايته الاولى « لقيطة » ، حتى لقد حسبه ذلك عليه بعض النقاد ، بدلا من ان يحسب لـه ، ولكن الكاتب كان يرى ان الاسلوب كالموسيقى التـي يجب ان تصحب الرقص او عرض الفيلم السينمائي ، فالرقص بلا موسيقى حركات نصف حية ، كما ان العمل الفني بـلا اسلوب يشبه الرقص بلا موسيقى .

والحق ، ان محمد عبد الحليم عبد الله كان يكتب بلغة عربية فصحى انيقة وبسيطة وسهلة ولم يكن يتنازل عن الفصحى ولا يتسامح في استخدام العامية ، ومن اهم ما يميز اسلوبه كثرة التشبيهات والحكم ، واحيانا كان الوعظ يتسلل في صورة تأملات صائبة ممـا يجعلنا نحس بحضور الكاتب نفسه ، ولكنه في رواياته الاخيرة لم يعد يتدخل بالشرح والتعليق ، وابتعد عن الوعظ كما نلمح في رواياته الاولى ، والى جانب ذلك ، ازداد اسلوبه قـوة وجمالا ، واصبح يتميز بالشاعرية والشفافيـة ، الامـر الذي يؤكد تطور الحركة الروائية لـدى الكاتب مـن ناحيتي : الشكل والمضمون .

وفي ختام هذه الدراسة نستطيع القول بأن محمـد عبد الحليم عبد الله هو ـ بحق ـ شاعر الرواية المصرية الذي يفيض اسلوبه : رقة وعذوبة وشاعرية .

مصر الجديدة عبد الرحمن شلش




## شخصيات من الادب المعاصر

تاليف وحيد الدين بهاء الدين – ١٧٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مجلة الضاد بحلب – مطبعة الضاد ١٩٧١

صديقنا عبد الله يوركي حلاق مدير مجلة الضاد ورئيس تحريرها يكفينا في مقدمته لهذا الكتاب القيم مؤونة التعريف بالمؤلف ، اذ يقول:

« الحق ان الاستاذ وحيد الدين كاتب بارع ، له في مضامير الادب جولات موفقة ، ومواقف مشرقة ، وآثار غنية بالشعور الصادق ، والانسجام المطمئن ، والجدة المشعة بالصياغة الانيقة ، والفكر النير » .. ثم يقول : « فهو احد حماة الفصحى ، يذود عنها بكل ما اوتيه من قوة وحمية واخلاص » .

ثم يقول عبد الله يوركي عنه : « تاثر بنخبة ممتازة من الرواد العرب ، والمفكرين الغربيين من امثال طه حسين ومحمود تيمور ، والرصافي ، وميخائيل نعيمة ، وروسو ، وارنست همنجواي ، فكتب القصة والمقالة والدراسات الادبية المطولة ، واتجه في كتاباته نحو التحليل النفسي ، والمذهب الفني ، والامانة المثلى في العرض والوصف وتصوير النزعات البشرية .. » .

ووحيد الدين حقا – بكتبه ودراساته وبحوثه ومقالاته – اصبح غنيا عن التعريف ، قريبا الى قلوب المثقفين والادباء عامة .

اختار المؤلف عشر شخصيات تحدث في كتابه عنها ، وهي شخصيات تستحق الوقوف عليها ، والدراسة لها ، لا لشهرتها فحسب ، بل لما تمثله من خصائص فكرية وتجديدية وثقافية أصيلة . وهذه الشخصيات هي :

١ – جورج صيدح الشاعر المهجري الكبير ، وصاحب ديواني « نبضات » ، و « حكاية مغترب » ثم ديوان « النوافل » ايضا وكتابه الحافل في دراسة الادب المهجري معلمة من معالم الدراسات الادبية الرفيعة .

٢ – حسين فوزي سندباد عصري وداعية حضارة .

٣ – شفيق معلوف وعبقريته .

٤ – وديع فلسطين سفير الادب المعاصر .

٥ – محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام .

٦ – هلال ناجي اديبا ومحققا .

٧ – محمود ابو الوفا الشاعر المفكر .

٨ – ناجي جواد كاتبا انسانيا .

٩ – ابراهيم محمد نجا الرومانسي الواقعي .

١٠ – حسين مجيب المصري باحثا وشاعرا .

وهي شخصيات طريفة ، تستحق الوقوف عليها ، ودراسة ادبها وفكرها ، وتحليل مختلف آثارها . وحسنا فعل المؤلف حين اختار هذه الشخصيات موضوعا لكتابه .

حين تحدث المؤلف عن صيدح عني خاصة بجانب اصالته الشعرية ، وبتجربته الشعرية ، وشعر صيدح كما يرى المؤلف يمتاز بالتعادلية بين التجربة الشعورية والقيم التعبيرية ، وهذه التعادلية هي في رأيه الارهاص الذي ترتكز عليه الاصالة الفنية ، ويتحدث عن صيدح ومعركته مع الحياة ، وعن طوابع شعره الثلاثة : طابع الوصف والكشف ، وطابع الحنين والشوق ، وطابع القومية والوطنية .

وصيدح حقا جدير بكل احتفاء ، هذا المكافح الجليل ابن السبعين الذي جاب البلاد شرقا وغربا من اجل الحياة ، وهذا العربي الحر الذي اعتز بالعروبة وبمجدها اعتزاز الفكر والوطني ، واتخذ من ذلك تراثه وفكره ومضامينه في الشعر ، وهذا الشاعر والاديب والناقد الجهير الصوت ، الرفيع المنزلة في ادبنا المعاصر .. هو مفخرة من مفاخرنا ودرة متالقة في ادبنا المعاصر ، وفي الشعر العربي المهجري معا .. وقد درست فيما درست في كتابي « قصة الادب المهجري » بجزئيه نماذج صيدح مع نماذج كبار الشعراء المهجريين دراسة تحليل ونقد ، وحين عاد من المهجر ضيفا على وطنه لبنان ، قال قصيدته المشهورة :

| | |
|---|---|
| حسدوني وضيف لبنان يحسد | أنا منه في واحة بعد فدفد |
| أتملى وما ارتويت بماء | وأساري وما اهتديت بفرقد |
| كان ذنبي ، وليس ذنب بلادي | ان تخيلت غير ما الآن اشهد |
| أطلقوني يا اهل لبنان اني | بالايادي التي اصطنعتم مقيد |
| ارجعوني الى غياهب امسي | رب ليل صفا وفجر تلبد |
| لست ادري : منارکم غاب عني | أم تداعى أم أنني صرت أرمد |

وفي دراسة المؤلف عن « وديع فلسطين سفير الادب المعاصر » يقول : « وديع فلسطين جوهرة ادبية من عيار فريد خاص ، لاصالتها الواغلة في اغوار كيانه ، عملت متابعة التطورات الحضارية في الشرق والغرب ، ومواكبة التيارات الفكرية والمذهبية ، ومجالسة اعلام الادب والثقافة ، عملت على تكشيف هذه الاصالة ، وتمكينها من ابراز ابعادها وآثارها ، منعكسة مجلوة على انتاجه في ضروب المعرفة الانسانية » .

ثم يدرس المؤلف جوانب اربعة في شخصية « وديع فلسطين سفير الادب المعاصر » :

الجانب الاول تبنيه « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ، ويفيض المؤلف في شرح جملة من هذه القضايا التي درسها وديع فلسطين في كتابه المشهور « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ، ويقول وحيد الدين: لا يعترف – وديع – على وجه الاطلاق بالمدارس الادبية ، التي اصطنعها النقاد ومؤرخو الادب ، لان مثل هذا التقسيم قائم على الوهم والافتراض ، بينما الادب بفطرته انساني يتابى على تقسيمات ومواضعات مصطنعة ... وقد رأينا العلامة محمد بهجت الاثري متفقا في هذه النظرة النقدية الصائبة مع وديع ، وذلك في بحث له عنوانه : « عبقرية الفكر وشموله يحدوان الى خط نهج واحد » .

والجانب الثاني هو عمله الصحفي ، وهو جانب طويل ممتد في حياة وديع فلسطين حقا .

والجانب الثالث هو مقدرته على الترجمة الى العربية ترجمة دقيقة بليغة متميزة .

والجانب الاخير هو « وديع سفير الادب المعاصر » . وهو جانب خصب حي مثير .

ولا شك ان وديع فلسطين جدير بالدراسة لخصوبة ادبه وعمق فكره وانسانية منزعه ، وهو حقا حسنة من حسنات الادب المعاصر .

وينتقل المؤلف الى محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام ، فيتحدث عن سر هذا اللقب ومعناه منذ اطلق عليه عام ١٩٢٧ ويتحدث عن التيار الوجداني في شعره ، وعن شعره في الطبيعة ، وعن طابع السلاسة والسهولة الذين يتميز بهما شعره ، وعن طابع التفاؤل في

شعره ، وعن شعره وملاحمه في التاريخ الاسلامي ، والتيار الاسلامي في شعره ، ويعرض نماذج فنية رفيعة من شعره عرضا جميلا عميقا ، مما تتميز به دراسته عنه .

ثم يعرض المؤلف لهلال ناجي اديبا ومحققا ، ولجوانب مختلفة عن حياته وشعره .. وهلال ناجي من الاصلاء في الادب شعره ونثره . ونماذج شعره ترشد الى شاعرية اصيلة محلقة او مبدعة على حد سواء .. يقول المؤلف عن هلال ناجي ما نصه :

« يمثل هلال ناجي الوجه المشرق للادب العراقي المعاصر . انه شخصية ادبية خصبة ، ذات ابعاد وجوانب ، فرضت نفسها على واقعنا الادبي ، محتلة مكانها بين صفوف المجددين ، باسهامها في ارساء ركائز الادب المتحرر ، وتخليص الحرف الاخضر من الارهاب والانعزال والتدجيل » .

ويتحدث وحيد الدين عن رحلات هلال ناجي ، ومواقفه في مجال الحرية السياسية ، وعن الجانب القومي والجانب العربي في حياته وشخصيته وادبه .

ويتحدث عن مؤلفاته الخصبة المتميزة ، من مثل : الزهاوي وديوانه المفقود ، واثر النكبة في شعر فلسطين ، وصفحات من حياة الرصافي وادبه ، وشعراء معاصرون الذي الفه بالاشتراك مع ناقد من كبار نقادنا المعاصرين في عالمنا العربي ، وهو مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، ثم كتابه « القومية والاشتراكية في شعر الرصافي » . وهلال ناجي ثري القلم والفكر معا حقا ، فهو بكتبه ودراساته ومناهجه في الدراسة الادبية يحتل منزلة رفيعة في ادبنا المعاصر ، ويمثل تيارا جديدا متدفقا يتصل بالعصر وبالتراث ، وبالثقافة الجديدة وثقافة اسلافنا الاولين الاصيلة معا ..

ثم يتكلم وحيد الدين عن الادب السياسي عند هلال ناجي ، وعن منزلة هلال ناجي بين سدنة التراث العربي ومحققي هذا التراث وشراحه ، وعن دفاعه عنه حين يقول : « ان هذا التراث هو ماضينا الحضاري والفكري كأمة ، والامة كالشجرة ، يمثل التراث فيها الجذور ، ولا يمكن لشجرة ان تقوم وان تضرب في الارض ثم ان تؤتي رعيها بغير جذور ، كما لا يقام بناء على رمل » .

ويتحدث المؤلف عن هلال ناجي القصصي ، ولم يتسع المجال امام المؤلف ليتحدث عن هلال ناجي الشاعر ، الشاعر الاصيل الجليل عاطفة وتجربة ، صياغة وفكرا ، شكلا ومضمونا .

وهلال ناجي حري بأن يدرس من كل جوانبه ، وفي كتاب « اللمحات المضيئة » درس لفيف من النقاد شاعريته ، وفي كتاب « هلال ناجي اديبا » درس بعض اعلام الادب جوانب مختلفة من ادبه.

وهلال ناجي الانسان بجانب ذلك هو الرافد الاول لتيار ادبه وشعره وشاعريته .

اما محمود ابو الوفا الشاعر المفكر حقا فهو قمة من قمم الشعر العربي المعاصر ، ومفخرة من مفاخره ، والمؤلف يدرسه من الناحية الفكرية ، ومن حيث واقعيته المثالية دراسة عميقة .

ويعرض المؤلف لمسحة تميز بها شعر ابي الوفا ، وهي الالم والسخط في شعره ، او احساسه العميق بالمرارة كما يقول وحيدالدين الذي يصف شاعرنا بالميل ، وهو لم ينجب الا قصائده وحدها ، والعبقرية دائما عقيم .

ثم يتحدث المؤلف عن التيار الوجداني في شعر ابي الوفا حديثا جميلا . وابو الوفا جدير حقا من الادباء والنقاد بالدراسة ، هذا الشاعر الاصيل الذي له تجديده وله منازعه الفكرية العميقة ، وله موسيقاه الاصيلة ، والذي اشترك في حركة الشعر المعاصر منذ شوقي الى اليوم .

وينتقل المؤلف الى شاعر اصيل اخر فقدناه في ربيع الحياة ، وفي شباب رحلة العمر ، وهو الشاعر ابراهيم محمد نجا ، في صيف عام ١٩٦٩ لقبني الشاعر نجا واهداني ثلاثة دواوين جديدة من شعره


الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

**الاشتراك العادي :**

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

**اشتراك الانصار :**

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

مطبوعة طباعة انيقة في لبنان ، وبعد ايام بلغني وفاته في المستشفى اثر مرض شديد عاوده ، فخسرنا بوفاته شاعرا غنائيا وجدانيا رفيعا، وانسانا رقيقا مهذب الحاشية وديع الجانب رزين الشخصية ، عاش حياته كفاحا وعملا وتحصيلا .

يقول المؤلف أن « شعر الشاعر نجا تجسيد حي لحياته وذاتيته، فيه بساطة الاداء ، وعمق المعنى ، وصفاء الوجدان » ، هذا الشاعر الذي يقول في لحن جميل مؤثر :

أنا المحروم لكني ... اغـذي بالجمال دمي
ظمئت ولم اجد ماء ... فهام الى السراب فمي
وغنيت الجمال فلم ... اجد الا صدى نغمي
ففنى اليأس في قلبي ... على قيثارة الالم

وينقل المؤلف عن « محمد فريد ابو حديد » انه كان يضع الشاعر نجا في مصاف الشعراء العالميين .

ثم يدرس المؤلف التيار الرومانسي في شعر نجا من جميع جوانبه وتجاربه ، في الحب والطبيعة ، وحتى في الوصف والاسطورة والطابع الرمزي ذي المسحة الفلسفية ، ويذكر اثر مدرسة « ابولو » ومدرسة المهجر في شعره وبخاصة شعر ايليا ابي ماضي .

وبعد فكتاب « شخصيات من الادب المعاصر » من الكتب العميقة التي تدل على ذوق اصيل ، ودراسة عميقة ، وبحث طويل .

وهو من الكتب التي يصح ان نقف عندها ، ونتأمل فيها ، ونأخذ منها المثال الحي للدراسة الادبية العالية ، التي تصدر عن ذوق وشخصية وذاتية وفكر اصيل .

**الرياض** — **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

## دراسات وتراجم عراقية

**تاليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت**

اسعدني الحظ بلقيا الاديبين الالمعين عبد الرزاق الهلالي من بغداد وعبد القادر عياش من دير الزور حين زارا جبلة ونزلا ضيفين كريمين عندي يوما واحدا ما كان اهناه واطيبه لولا قصره وسرعة مضيه . وقد اهدى الي الاستاذ الهلالي كتابه النفيس « دراسات وتراجم عراقية » والاستاذ العياش كتابيه القيمين « المانيا الديموقراطية » و « ملامح من وادي الفرات » واني اقدم الان كلمتي عن الكتاب الاول .

حقا ان كتاب الاستاذ الهلالي ممتاز جدا بموضوعاته وتحقيقاته واسلوبه الرشيق ومناقشته الرصينة ويتضمن دراسات كافية وافية عن شعراء وعلماء طاب ذكرهم وطار صيتهم وهم الاساتذة محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وجميل صدقي الزهاوي ومحمد القزويني وانستاس ماري الكرملي ويتضمن ايضا بحوثا جديرة بالاهتمام والمطالعة هي : حول اشتراكية الزهاوي : و : وقفة مع كتاب « الزهاوي » تاليف الدكتور ماهر حسن فهمي ووقفة مع كتاب « فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث » تاليف الدكتور يوسف عز الدين . وتبلغ هذه الدراسات ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير طبعت بمطبعة دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٧٢ ومن منشورات مكتبة النهضة في بغداد .

بعد هذا الاجمال لا ارى بدا من التفصيل بعض الشيء عن تلك الدراسات الجيدة المفيدة .

بدأ الاستاذ الهلالي دراسته الاولى عن الاديب العالم الشاعر محمد رضا الشبيبي المولود عام ١٨٨٨ في النجف الاشرف والمتوفي عام ١٩٦٦ وقد ذكر انه من اسرة عريقة تنتمي الى قبيلة عربية لها مجدها في التاريخ وهي قبيلة بني اسد وروى كيف مضى جده الشيخ محمد بن شبيب الى النجف ورحل عنها بعد ان استكمل علمه فيها الى مدينة الشطرة ومنها الى مدينة السلام وفيها ولد ابنه جواد الاديب العالم والد النابغة محمد رضا الذي درس علوم اللغة العربية وآدابها والمنطق والفقه واصوله على مشاهير علماء النجف في تلك الاثناء فتوفق وتفوق وطفق ينظم الاشعار البارعة ويدبج المقالات الماتعة وينشرها في الصحف والمجلات العراقية والسورية والمصرية فاشتهر بأدبه وعلمه وفضله ثم خاض المعارك السياسية والوطنية في عهد الاتراك منذ نشوب الحرب العظمى وثابر على خوضها في الثورة العربية والاحتلال الانكليزي والعهد الفيصلي بحماسة واخلاص خدمة للعروبة والقومية العربية وقد تسنم وزارة المعارف خمس مرات وانتخب نائبا وعضوا في مجلس الاعيان كما انه انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي في القاهرة ورئيسا للمجمع اللغوي في بغداد حتى وفاته .

وقد ضم الكتاب قليلا من اشعاره الوطنية والحكمية والاجتماعية لانه شاعر مقل ولكنه مجيد كل الاجادة وقد سرد المؤلف للشاعر ثلاثة ابيات من قصيدته الرائعة وهي :

فتنة الناس وقينا الفتنا ... باطل الحمد ومكذوب الثنا
أنني ذاك العراقي الذي ... ذكر الشام وناجى اليمنا
انني اعتد نجدا جنتي ... وأرى جنة عدني عدنا

وليته نشر اكثر ابياتها لانها اجمل قصائد الشاعر بل انها من اجمل القصائد في العصر الحديث .

ثم انتقل المؤلف الى دراسة الشيخ محمد باقر الشبيبي المولود عام ١٨٨٩ والمتوفي عام ١٩٦٠. فهو اصغر من أخيه محمد رضا بسنة وتوفي قبله بست سنوات ونشأ في النجف كنشأة اخيه وكان من الافذاذ في الادب والعلم والشعر يشار اليه بالبنان وله مواقف وطنية وقومية عظيمة ومشرفة .

وقد عرض الاستاذ الهلالي كثيرا من شعره العذب الصافي وكان كريما في ذلك ومن شعره الذي عرضه له قوله في قصيدته الموجهة الى « المستر كراين » حين جاء العراق لدراسة حالته السياسية :

يا عصبة الامم التي قد اوكلت ... أمر العراق الى الذي يستعبد
ما كان عهدك وهو عهد جائر ... الا لمنفعة الذين تعهدوا
الطائرات تروع شعبا آمنا ... والدارعات تخيفه وتهدد
احكومة والاستشارة ربها ... وحكومة فيها المشار يعبد
المستشار هو الذي شرب الطلى ... فعلام يا هذا الوزير تعربد

وقصيدة بعنوان : تحية المتنبي : هذا مطلعها :

حق على الكوفة تسبق الطلب ... وتستعيد بالمساعي ما ذهب

وقصيدة في رثاء شوقي بعنوان : القمر يغيب ، وهذا مطلعها :

عجيب ان يغيبك التراب ... ودونك ايها القمر السحاب
احمد شبهوك بشكسبير ... ولو عكسوا لقلت اذن أصابوا
فانت وان أتيت لنا اخيرا ... لشعرك فيه آيات عجاب

وقصيدة في لبنان بعنوان : يا موحي الشعر ، وهذا مطلعها :

من العراق واهليه تحيات ... رسالة عبرت عنها المسافات
هذي اخوة بغداد تناشدكم ... الا تضيع بلبنان الاخوات
أقسمت اني مسرور بأودية ... وأجبل نعمت فيها المسرات

وروى له بيتا من قصيدة فقدت بالنص الآتي :

الابناء هذا الشرق تعسا لشرقكم ... اما فيكم الا ابنة خائنة غمر

وهو مختل الوزن والمعنى وظاهر ان فيه خطأ طباعيا ولعل الصواب هو :

أابناء هذا الشرق تعسا لشرقكم ... اما فيكم الا ابن خائنة غمر

ثم تحول الاستاذ الهلالي الى موضوع « الزهاوي والاشتراكية » وناقش الاستاذ رفائيل بطي بما ذكره عن اشتراكية الزهاوي في خطابه عام ١٩٢٣ بالحفلة التي اقيمت للفيلسوف الشاعر وكانت المناقشة

قائمة على ان الزهاوي لم يكن في ذلك الحين على معرفة تامة من الاشتراكية .

ثم ختم الاستاذ الهلالي كلمته بقول الزهاوي :

ما كل اقوالي بنات عقيدتي / اني لفي شعري اجد وامزح

ثم انتقل الى دراسة السيد محمد الحسيني القزويني الاديب الالمعي والعالم الجهبذي وكنيته ابو المعز وقد ذكر انه ولد في الحلة عام ١٨٤٥ وبعد ختمه القرآن واطلاعه على مبادىء العلوم مضى الى النجف الاشرف فتلقى فيها علم البلاغة والمنطق والاصول ورجع الى الحلة ثم عاد ثانية الى النجف واكمل تحصيله فيها وحضر دروس والده وتدريس العلامة الايرواني فأجازه بالاجتهاد وصار مجتهدا وهو في مطلع العقد الرابع من عمره مما يدل على عبقريته وبعد وفاة ابيه واخيه الكبير اصبح رئيس اسرة القزويني ومرجعا للناس وقد حضر اليه وفد من الحلة ورغبوا اليه ان يعود الى الحلة فاستجاب لرغبتهم وحل فيها ملاذا للمراجعين وموئلا للعلم والفضل وكان خفيف الروح ظريف اللسان طريف النكتة حاضر البديهة قال يداعب شيخا متصابيا تزوج صبية لم يستطع الدخول بها في الليلة الاولى :

هنئاني فاليوم يوم التهاني   بفتى فر عند وقع الطعان

وقال مجيبا الشاعر الرصافي على قصيدة مدحه بها :

بدر الرصافة لو تقدم عصره   اثنى عليه لفضله كرخيها

ويقصد بالكرخي معروفا الكرخي احد اعلام الزهاد المتصوفين .

وقد الف السيد القزويني بعض الكتب الادبية والعلمية وتوفي عام ١٩١٦ .

وانتقل الاستاذ الهلالي بعد ذلك الى دراسة العلامة اللغوي النحرير الاب انستاس ماري الكرملي المولود عام ١٨٦٦ في بغداد والمتوفى عام ١٩٤٧ ويمت بمحتده الى قبيلة بني مراد العربية واسم ابيه ميكائيل ماريني وقد سمى ابنه حين ولادته ( بطرس ) ثم اشتهر بعد ان صار كاهنا بالاب انستاس ماري الكرملي وقد تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الآباء الكرمليين و « الاتفاق الكاثوليكي » في بغداد وبدت عليه مخايل النجابة والنبوغ وهو في مدرسة الآباء الكرمليين ولمعت براعته في اللغة العربية فاختاره مدير المدرسة مدرسا للغة العربية فيها وهو في سن السادسة عشرة . وذهب الى بيروت وهو ابن عشرين سنة لتدريس اللغة العربية في المدرسة اليسوعية وتعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ثم رحل الى ايطاليا وفرنسا فتلقى العلوم الفلسفية واللاهوتية والفقهية واتم تحصيله في « مونبلييه » ووسم كاهنا وقد زار الاندلس في عودته الى بغداد عام ١٨٩٤ .

وبعد وصوله عهدت اليه المدرسة الكرملية بتعليم اللغتين العربية والفرنسية مع القيام بواجب الوعظ والارشاد في الكنيسة وبعد اربع سنوات ترك التعليم وانصرف للوعظ والتأليف وتحبير المقالات اللغوية والعلمية والتاريخية ونشرها في المقتطف والهلال والزهور والمشرق والمقتبس والمباحث والمنهل وغيرها بتواقيع مستعارة في بادىء الامر ثم وقع باسمه الصريح وقد خدم اللغة العربية بكل جهده وطاقته وكافح في سبيلها وصد من يناوئها ورد على من يخطىء بها ومن رأيه فيها قوله :

« ان اللغة العربية اسمى اللغات وانها مفتاح اللغات جميعا لانها قادرة على تصوير كل ما يدور في الفكر البشري وفي الطبيعة الانسانية وانها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذي لا يوجد في لغة سواها وان القصور في ابنائها الذين اترفوا ولا يريدون ان يتجشموا في سبيل لغتهم أي جهد » .

ولاجل الدفاع عنها وردع خصومها انشأ مجلة « لغة العرب » عام ١٩١١ وقد خدمت الفصحى خدمات جلى واعلت شأنها واشادت بمجد ابنائها فغضب عليه الاتراك ونفوه الى الاناضول عام ١٩١٤ وبعد انتهاء الحرب العظمى ورجوعه الى وطنه اصدر المجلة مرة ثانية عام ١٩٢٦ فعادت الى سالف عهدها الزاهر ونضالها عن لغة الضاد حتى اضطر لاغلاقها عام ١٩٣٢ لقلة المناصرين والمؤازرين وخسارته المادية بالانفاق عليها .

وقد انتخب عضوا في مجمع المشرقيات الالماني وعضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق وعضوا في المجمع اللغوي المصري وكان عضوا مؤسسا للمجمع اللغوي العراقي عام ١٩٢٧ واختير ايضا عضوا في لجنة التأليف والترجمة والنشر العراقية عام ١٩٤٥ وقد اقام له العراق حكومة وشعبا يوبيلا ذهبيا عام ١٩٢٨ بمناسبة مرور خمسين عاما على خدمته اللغة العربية و « اليوبيل » كلمة يونانية تعريبها العيد وكان الشاعر الزهاوي رئيس الاحتفال قد انشد فيها قصيدة جيدة منها البيت الآتي :

ترهب يرعى العلم خمسين حجة   فاكبر به من عالم مترهب

وكان الاب انستاس يقول : « اذا تصدى احد لمناظرتي فلا يلبث هذا المناظر ان يدركه الموت » .

ويستشهد على ذلك بوفاة الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ عبد الله البستاني والاب لويس شيخو عقب مناظرته .

ثم عقد المؤلف دراسة ادبية حول « مدحت باشا » بطل الدستور وابي الاحرار وقد ارتقى في العهد العثماني الى ارفع المراتب والمناصب حتى صار « صدرا اعظم » أي رئيس وزراء وكان محبا للحرية والعدل والمساواة وقد تولى قبل ذلك رئاسة مجلس الشورى فادخل تحسينا كبيرا على القوانين وحارب الظلم والاستبداد فاستاء منه السلطان عبد الحميد والصدر الاعظم امين عالي باشا . وليدرأ عنه انتقامهما طلب نقله واليا الى العراق فأجيب الى طلبه فحسن فيه الاحوال وحكم بالحق والانصاف فاحبه العراقيون ومدحه الادباء والعلماء وكان يتقن اللغة العربية ورويت له هناك اشعار عربية منها البيتان الآتيان :

فلا والقنا والمرهفات البواتر   فلا ترة ابقيت لي عند واتر

أيذهب خصم في دم لي مضيع   ولست اذيق الخصم طعم البواتر

وفي قافيتيهما لزوم ما لا يلزم لانه التزم فيهما التاء والراء وقد شطرهما وخمسهما الشاعر حيدر الحلي كما ان مدحت باشا شارك الشاعر علي ظاهر الحلي المطيري بأبيات غزلية جميلة صدورها له واعجازها للمطيري وهذا هو المطلع قال الباشا :

ورب خود من الافرنج سافرة

فقال المطيري مجيزا :

عن وجهها وعليه ثوب انوار

ومضيا هكذا في ستة ابيات . وقد بقي واليا على العراق اربع سنوات وزهاء شهر وقد ولد مدحت باشا عام ١٨٢٢ وتوفي عام ١٨٨٢ خنقا في الطائف بأمر السلطان بعد ان نفاه اليها لانه لم يصدع بأمره ويساعده على جوره حين كان صدرا اعظم .

ثم انتقل الاستاذ الهلالي الى تصويب بعض ما جاء في كتاب الزهاوي تأليف الدكتور ماهر حسن فهمي فناقشه مناقشة دقيقة وانتقده في كثير من المسائل وكان مصيبا الا في نقطتين لم اوافقه عليهما.

النقطة الاولى : تخطيئه للدكتور ماهر في تأكيده ان اول شعر قاله الزهاوي هو هذان البيتان :

ناشدت شيخا قد تقو   س ما تفتش في التراب

فأجاب يا ولدي لقد   ضيعت ايام الشباب

محتجا بقول الزهاوي : ( واذكر ان شاعريتي بدأت وانا ابن ١٥ سنة ومن اوائل شعري ) :

اما آن ان نابى على الوطن العارا   فنركب اخطارا ونقضي اوطارا

ان الزهاوي لم يقل ان هذه القصيدة هي اول شعره بل قال انها من اوائل شعره مما يدل على انه نظم شعرا قبلها . كما ان احتجاج الاستاذ الهلالي بقصيدة الزهاوي التي نظمها وهو ابن ١٥ او ١٦ سنة في مدح الوالي تقي الدين باشا كما ذكر الاستاذ الغراوي اذ قال

( وهي اول قصيدة له ) ـ ومعلوم ان القصيدة غير البيتين ـ وظاهر ان القصيدة التي ذكرها الزهاوي هي اسبق من القصيدة التي نوه بها الاستاذ الفراوي والمعهود في كل شاعر ان ينظم اولا البيتين او الثلاثة والمقطوعات حتى يصل الى نظم القصيدة ولم يجزم الدكتور بان البيتين المذكورين هما اول ما قال الزهاوي من الشعر وهذا نص قوله :

« ومن اوائل المقطوعات التي قالها مترجمة عن الفارسية بل لعلها من اول ما قال من شعر على الاطلاق » الخ فقوله : لعلها : تنفي الجزم . والراجح كما هو شائع ان ذينك البيتين هما اول شعره .

والنقطة الثانية : هي ان الدكتور ماهر لم يقل ان الزهاوي اجتمع بعبد البهاء ليبرهن الاستاذ الهلالي بالادلة التاريخية ان الشاعر لم يكن مولودا حين حضر عبد البهاء الى بغداد وانما اشار الى انه كان يستمع الى المناقشة في حركة البهائية وهذا امر معقول ومقبول .

وقد صحح الاستاذ الهلالي ما جاء من اوهام في كتاب الدكتور يوسف عز الدين « فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث » وكان تصحيحه حليفا للصواب وقد ولد الاستاذ المدرس عام ١٨٦٩ وشغل منصب رئيس الامناء في البلاط الملكي وتنحى عنه بعد ان غضب عليه الانكليز وقد توفي عام ١٩٤٤ وكان اديبا كبيرا وكاتبا باللغتين التركية والعربية واستاذا جامعيا وقد هاجم الدكتور يوسف عز الدين في كتابه المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ودافع عنه الاستاذ الهلالي دفاعا مجيدا صادقا .

وختم دراسته بملحق « حول الزهاوي والاشتراكية » وهو عبارة عن تعليق للاستاذ جليل عطية على ما كتبه الاستاذ الهلالي وتقريظ له.

هذا ما عن لي ان اكتبه عن دراسات الاستاذ الهلالي تلخيصا وتمحيصا وله الشكر الجزيل والفضل الكبير على ما متعني في كتابه من فائدة ومعرفة واطلاع وعلى زيارته اللطيفة الجميلة راجيا ان تتكرر .

جبلة ـ سورية — رشاد علي أديب

•

## عنـدمـا تحب المـرأة

مجموعة قصصية ـ تاليف حلمي مراد ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٢ ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة

الاستاذ حلمي مراد من ادبائنا النوابغ الذين اسهموا بجهد متصل في تطور الادب والفكر في مصر والشرق العربي . فقد انشا مجلة « كتابي » واصدرها اعواما طويلة ، وزود قراءها بالشائق الطريف من مقالاته وبحوثه ، وبالمميز المختار من ملخصات الكتب الاجنبية ، وبالرائع الخالد من عيون الادب العالمي ، افرد لها سلسلة مستقلة من « مطبوعات كتابي » ، ونقلها الى العربية هو نفسه او عهد بنقلها الى صفوة من المترجمين ، فانار للادباء العرب طريق الفن العالي ، واسدى الى الحركة الادبية في بلادنا اجل الخدمات .

على ان للاستاذ حلمي مراد شخصيته الذاتية ، تتجلى في ولعه بالفن القصصي ، وفي اسلوبه وطريقته في معالجة هذا الفن .

وهو بالطبع والمزاج قصصي اصيل ، مرهف النظرة ، دقيق الملاحظة ، مشبوب الخيال ، ينزع الى اللون العاطفي الذي يصور مشاعر القلب ، ومنازع الحس ، وخلجات النفس والوجدان .

ونحن في مجموعته القصصية الاخيرة « عندما تحب المـرأة » ، نلمس هذا اللون المحبب اليه ، ينبض بشعر العاطفة والروح ، ويتقد حركة وحرارة وحياة .

ففي قصة « ايها الربيع ترفق » ، نستشعر ذلك الاسى الناعم لعاطفة بكر كتوم ظلت تخفيها بطلة القصة « ليلى » عن حبيبها الطبيب الشاب . فدفعه كتمانها وعدم تبصره بقوة العاطفة التي تضطرم في كيانها ، الى التحول عنها والاسترسال في هوى صديقتها « عايدة » التي تعرف اليها عن طريق ليلى . فاحست ليلى ان انطواءها وتكتمها كانا شرا عليها ، وان صديقتها قد سلبت منها حبيبها . فاسودت في وجهها الدنيا ودب في نفسها اليأس فانتحرت . فانخلع قلب الطبيب الشاب ولم يستطع ان ينعم بالسعادة قرب عايدة وبينهما جثة ليلى المنكودة التاعسة .

فهذه القصة رغم رقتها وما يشيع فيها من جو عاطفي حالم ، قد عبرت ابلغ تعبير عن سطوة المشاعر العنيفة اذ تعصف بالقلوب الغضة. فتختم على البصر والبصيرة ، وتجرد الانسان من قدرته على تحقيق آماله وتذليل ما يعترض تلك الآمال من صعاب . فضعف الارادة هو الذي اودى بليلى ، والدعوة الى القوة والارادة هو هدف القصة ، وهو الصرخة المنبعثة من بين سطورها ، تستنهض عزائمنا وتهزنا من الاعماق.

واما قصة « الرد خالص » فتدور حول فتى وفتاة ، اوجس كلاهما من الزواج بالآخر لان كلاهما كان يخفي حقيقة مكانته الاجتماعية عن الاخر ، ويلقي في روعه انه من ذوي الجاه والثراء . ثم ينكشف الستار اخيرا عن مكانتهما الاجتماعية المتواضعة ، ويتغلب الحب ، وينهار ذلك الحائط الوهمي الذي صنعاه كلاهما مدفوعين باغراء المال والجاه ، والتعلق بالمظاهر والافتتان بها .

فالقصة درس اخلاقي يحفزنا الى الصدق والصراحة ، ويعلمنا كيف نعتز بحقيقتنا وبما فينا من مشاعر ونوازع طيبة وسامية ، لا بما تتطلع اليه اهواؤنا من زيوف الحياة واباطيلها .

فالحب هنا يقهر في النهاية سلطان المال ، بل يصبح هو نفسه ثروة ، فيكسو وجه الدنيا في نظر المحبين الصادقين طبقة من ذهب .

واما قصة « رجل له ماض » ، فترتفع بنا الى مستوى التحليل النفسي ، وهي في الحق وثيقة حية ، تكشف عما يمكن ان تحدثه في نفوسنا مفاسد الماضي ، تلك المفاسد التي تظل تلاحقنا في قسوة ، وتطاردنا في عناد ، وتحول بيننا وبين الحياة المستقرة الخصبة يوم ان نفكر في الزواج ونطمع في الاخلاص لامراة واحدة .

فبطل القصة عاش حياة زاهرة بالوان العبث والاستمتاع . فباتت كل امراة في نظره شبيهة باولئك النسوة الخليعات المتبذلات المتلونات التي عرفهن في مطلع شبابه . فلما اقدم على الزواج خيل اليه ان امراته على غرارهن . فراح يشك فيها هي البريئة ويسرف في الغيرة عليها ويعذبها . فاستحالت الحياة بينهما الى جحيم . فطلقها ، واقترن باخرى . فعذبها وتكررت المأساة . فطلقها ايضا واعتزم الا يتزوج . ولكنه احس ان حاجته الى المراة كحاجته الى الخبز . فتعلق بفتاة صغيرة شبه طفلة واحبها حبا خالصا . بيد انه اشفق عليها من نفسه ومن ماضيه الذي يطارده ومن يقينه بانه لو اقترن بها فلا بد ان يعذبها كما عذب زوجتيه الاولى والثانية . فلم يجد سبيلا الا ضبط النفس ، وكبح العاطفة ، والتراجع والفرار .

وعندي ان هذه القصة هي من اجمل واكمل ما في المجموعة ، تمتاز بالتحليل البارع ، والوصف الدقيق ، وتصوير شتى الانفعالات التي تساور انسانا مكبلا بماضيه الملوث ، ومستبصرا به تماما ، وعاجزا مع ذلك عن الفكاك منه .

ونجد في سائر قصص المجموعة ذلك الاسلوب السلس الرقيق ، وتلك اللمسات الواعية الذكية ، تقترن فيها النعومة بالدقة في التحليل والبراعة في العرض والاداء .

فالمجموعة ولا ريب ذخيرة ، ذخيرة شائقة من الفن القصصي العاطفي الرفيع .

القاهرة — ابراهيم المصري